

مِنْ رَفَعِ أَمْرَكُمْ:

الْجَهَادُ الْكَبِيرُ

غَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ



العقائد الإسلامية

من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية

للاستاذ العلامة

عبد الحميد بن باديس

رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

رحمه الله

١٨٨٩ - ١٩٤٠ م

رواية وتعليق

محمد الصالح رمضان

تقديم فضيلة العلامة الشيخ

محمد البشير الإبراهيمي

دار الفتح

الشارقة

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى
١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م

موافقة وزارة الإعلام والثقافة
رقم : أ ع ش ٢٠٤١
تاريخ : ٢٨ / ١٠ / ١٩٩٥ م

الناشر

دار الفتح للطباعة والنشر والتوزيع

هاتف المطبعة : ٣٢٢٣٠٨ - هاتف المكتبة : ٣٢٢٥٢٤ - ٦
فاكس رقم : ٣٢٢٥٢٦ - ٦ ص. ب : ٢٣٤٢٤ الشارقة - إ.ع.م

مقدمة الناشر

الحمد لله الذي أخرج المؤمنين من ظلمات الجهل إلى نور العلم، وبين سبيل الهداية وعلم الإنسان ما لم يعلم، وأرسل رسوله ﷺ بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أما بعد .

إن حاجة المسلمين لتعلم العقيدة وخاصة الناشئة منهم كحاجتهم للهواء الذي يتنفسونه والماء المذي يشربونه، فلن يكون المسلم مسلماً بغير معتقد صحيح يدفعه إلى طاعة ربه وعبادته عبادة حق، فيصلح القلب وتنقاد الجوارح وفق أمر الله عز وجل فيكون مسلماً حقاً يعيش بهوية صحيحة وانتساب صادق للإسلام. وأما من امتلأ قلبه بعقيدة خربة فاسدة، فهذا يعادي الإسلام شاء أم أبى وذلك بمعادته للعقيدة الصحيحة. ومن منطلق هذه الحاجة وتطلعاً لغدٍ مشرقٍ يكون الإسلام فيه قائداً مهيمناً كما يحب الله عز وجل كان لابد من تنشئة الشباب على مفهوم العقيدة الصحيحة التي يجب أن تكون القضية الأولى التي تحظى باهتمام المخلصين من أبناء هذه الأمة، من هذا المنطلق رأينا نشر كتاب فريد في أسلوبه، بسيط في تناوله، يحظى بإذن الله بقبول جميع المستويات، وبفهم كل الأعمار، يصلح للصغير والكبير والمرأة والرجل، خالٍ من مهاترات المتكلمة وغياب المتفلسفة، يقعد القاعدة ويخلص إلى الدليل مع شرح بسيط في التعليق يقرب المسألة إلى الفهم، ويفتح المستغلق من الألفاظ. أما عملنا فيه فهو تخريج الأحاديث وعزو الآيات والتعليق في بعض مواضعه لتتم الفائدة ويحصل المرجو.

فهذا الكتاب كتبه مجاهد نذر نفسه لله عز وجل دعوة وتعليماً وجهاداً، له الأثر العظيم في نفس مخلصه الجزائر، فهو يجتمع مع شيخ الإسلام ابن تيمية في جهاده ودعوته للعقيدة الصافية النقية. نسأل الله عز وجل أن يحسن إليه وإلى علماء الأمة وأن ينفع بالكتاب المسلمين والحمد لله رب العالمين .

الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ . [بَقَرَة : ١٣٥ - ١٣٦]

مقدمة الطبعة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى

وبعد أتشرف بتقديم هذا الأثر من آثار أستاذنا الجليل العلامة الشيخ عبد الحميد بن باديس إلى هذا الجيل من نشئنا الصاعد ليستمد منه النور والهداية التي لا بد منها لكل مسلم ناشئ ليركز عليها إيمانه حتى تستقيم أخلاقه ويقوم تفكيره ليثبت أمام زلال الدهر وتقلبات الزمان .

فإذا ضمنا له قوة الإيمان وسلامته ضمنا له كل شيء في الحياة .

وأنا واثق من أن هذه الطريقة السلفية التي سار عليها أستاذنا الإمام في عرض العقيدة الإسلامية هي الطريقة المثلى ، لأنها تتماشى والفطرة البشرية التي جاء بها القرآن لهداية الناس فكانت من جملة أسرار تأثيره في النفوس التي فهمته وتأثرت به من أول وهلة ، وانطلقت من جزيرة العرب تاركة الأهل والعشيرة والوطن لتبشر برسالة الله وتنشرها في الخافقين ، مستهينة بكل شيء مستعذبة الموت في سبيلها ، فكان النصر حليفها . واندھش العالم للفتنة القليلة تقهر الفئات الكثيرة بإذن الله ، ولم تستطع أن تقف أمامها قوة في الوجود ، كما بهت العالم من دخول الناس أفواجا في هذا الدين الحنيف بعد انتهاء جولات الفتح الأولى .

هذا بالنسبة للعهود الأولى ، أما في عهدنا هذا فلعل من آثار بذور الإيمان الصحيح التي بثها مصلحنا الأكبر الشيخ ابن باديس في أمته وكرس لها حياته ، ونشرها إخوانه وتلاميذه من بعده ، نجاح الشعب الجزائري - الذي يدين له بأكبر الفضل - في حربه التحريرية ضد قوى البغي والعدوان الماثلة في الاستعمار الفرنسي ، ومن ورائه التحالف الغربي بجميع معداته وأجهزته الجهنمية في الحلف الأطلسي الذي يعتبر أكبر تحالف عسكري عرفه التاريخ .

وهكذا صمد الشعب الجزائري الفتى الأبي المؤمن بربه بحقه في وطنه ، وتحدى العالم الظالم متدرباً بسلاح الإيمان الذي لا يُفْلُ ولا يصبر الذي لا يهون ، فضرب أروع الأمثلة في البطولة والفداء التي لا نعرفها إلا في الأساطير أو في حواربي الأنبياء والمرسلين ، فهذه معجزة أخرى من معجزات الإيمان تجلت للعالم على أيدي هذا الشعب الفتى البطل ، الذي قدم من القرابين على مذبح الحرية مليوناً ونصفاً من الشهداء . أي عشر سكانه .

تلقيت هذه الدروس إملأً عن أستاذنا الإمام مباشرة في حلق دراسية مسجدية بالجامع الأخضر بقسنطينة في الفترة ما بين ١٦ رجب ١٣٥٣ و ٢٥ صفر ١٣٥٤ هجرية (الموافقة لأكتوبر ١٩٣٤ وماي ١٩٣٥ من السنة الميلادية) أي في ثمانية أشهر ، بنسبة حصة واحدة في الأسبوع لا تتجاوز الثلاثين دقيقة ، وسط جمع من الطلاب يقارب أحياناً المائة في أول عهدي بالدراسة العربية الإسلامية .

ولما احتجنا إلى هذه الدروس للتعليم الديني بوزارة الأوقاف لنقدمها إلى تلاميذ (معاهدنا الإسلامية) في فاتح السنة الدراسية (٦٣ - ٦٤) عكفت على

تبييضها والتعليق عليها بما لا يتنافى والروح السائدة فيها ، وأنهيت هذا العمل ليلة الاثنين ثاني رجب ١٣٨٣ هـ الموافقة لليلة ١٨/١١/١٩٦٣ م .

وحفظاً لأمانة النقل ومراعاة الغائب رأيت من واجبي أن ألفت الأنظار إلى أنني حافظت على الأصل في تبويبه وعناوينه كما أملاه صاحبه في الفترة المذكورة ، وما أضفت إليه سوى ترقيم أوائل الدروس والمواضيع ، وأما الأحاديث فقد خرجها صاحبها إلا القليل النادر ، فقد خرجته داخل المتن أو خارجه . أما التعاليق والخواشي التي رأيت أنها ضرورية متممة للأصل فقد جعلتها أسفل الصفحات مفصلاً بينها وبين المتن بخط أفقي ، وأستطيع أنؤكد بأنها لم تخرج في مجموعها وتفصيلها عن روح ابن باديس رحمه الله وأرضاه .

والله أسأل أن يوفقنا لما فيه الخير ، وأن ينفع بهذه الدروس كما نفع بصاحبها ، وأن يعيننا على نشر آثار أخرى من تراثنا الخالد بمنه وقوته .

الجزائر يوم الاثنين ٢ / رجب / ١٣٨٣ هـ الراجي عفو ربه
الموافق لـ ١٨/١١/١٩٦٣ م محمد الصالح رمضان

مقدمة الطبعة الثانية

الكتابة عن إمامنا المبرور العلامة الشيخ عبد الحميد بن باديس ليست بالأمر الهين الميسور على كل كاتب ، لا اعتقادي أنه لا يكتب عن العظيم إلا العظيم .
ورغم طول المدة على وفاته ، ومع سطوع شمس الحرية على بلادنا لم يكتب أحد عنه ، ليجلي للناس عِظَمِهِ ، وبعض أفضاله على النهضة المغربية بصفة عامة ، وعلى الأمة الجزائرية بصفة خاصة .

وسمعنا أن العلامة البشير الإبراهيمي عزم على الكتابة عنه ، وتهياً لذلك ، ولكن يبدو أن مشاغل وعوائق حالت دون أن يكتب بقلمه البليغ ، عما رأى وسمع وشاهد ، (وما رآه كمن سمع) ، حتى لحق هو الآخر بربه رحمهما الله رحمة واسعة .

ويتعذر على الكاتب العادي أن يلم ببعض جوانب العظمة في هذا العبقرى المخلص ، وحسبه أن يشير إلى تلك الآفاق السامقة مجرد إشارة ، كالشعاع الذي يشق الحجب منبثقاً من الشمس فيهدي كما تهدي ، ويدل عليها وإن كان بعضاً منها .

عرفت الإمام في حداثة سني ، حين عزفت عن التعليم الابتدائي الفرنسي ،

لأعيش في رحابة ديني ولغتي ، اللذين لم أكن أعرف عنهما إلا القليل النادر
وبمعرفتي به صححت وضعاً أكرهت عليه ، حين كنت لا أدري عن تلوين
مستقبلي شيئاً .. عرفته .. فعرفت أمة في رجل واستشعرت بعدئذ المعنى العميق
لقول الشاعر :

ليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد

واستمر بي المقام في رحاب الشيخ خمس سنوات ، وهي مدة ليست
بالطويلة في عمر الزمان ، ولكنها - والحمد لله - أثرت وأثمرت ، بعدما أينعت
فيما أظن ؛ إذ استدعاني الإمام بعد ثلاث سنوات فقط من التلمذة عليه لأعونه ،
في التدريس لطلابه بقسنطينة مع معاونيه ، ثم عينني معلماً في مدرسة التربية
والتعليم بقسنطينة ، ومع ذلك لم أنقطع عن دروسه العامة ، وخاصة درس
التفسير ، حتى لقي ربه في ١٦/٤/١٩٤٠ م رضي الله عنه وأرضاه .

وقد وعيت عن إمامنا ما شاء الله أن أعني ، وقبست منه ما كان يكفي
لهدايتي ، لولا أن طالب العلم كطالب المال لا يشبعه شيء .

وعشت بهذه الذكريات الطيبة ، وعلى هذا العهد السماوي في مدارس
جمعية العلماء المسلمين ، مدرساً ، ومديراً ، ومفتشاً ، وقتاً ليس بالقصير .
ومما وعيته عنه هذه الإملاءات في التوحيد من الآيات القرآنية والأحاديث
النبوية ، التي لم يفتني منها شيء والحمد لله .

ومن فضل الله أنها لم تذهب في أيام الإرهاق والتضييق والعسف
والنسف ، كما ضاع كثير غيرها فآلمنا فقده ، ولكن لا يرجع الأسف ما ضاع !
وكان صوت إمامنا ما يزال يرنّ في أذني حين إملاء هذه الدروس بالجامع

الأخضر، وقد حذا فيها الإمام حذو السلفية الرشيدة من اعتماد كتاب الله ،
والصحيح من سنة رسول الله ﷺ ، قبل تفسيرات المذاهب المختلفة وتأويلات
أصحابها في مرحلة الاختلاط ، والاستشهاد بما عند الأقدمين من أصحاب
الأديان والفلسفات والمذاهب الأخرى . ومن المحقق أن بعض الآراء كما كان
لها فضل التجلية ، ودقة الاستشهاد كان لها أيضاً أثره الضار في التعمية ، أو
البعد عن جادة الصواب أحياناً ، مما أثار البلبلة والخيبة . وتشعب الآراء وانبهام
الحقيقة أمام الدارس ..

وكان ذلك مما دعا المصلحين إلى ضرورة العودة إلى إصلاح العقائد
الإسلامية ، وشرح المصطلحات ، وحل القضايا على نمط سلفي واضح .
بصريح نص الكتاب والسنة الصحيحة ، لا برأي الجبرية والتقديرية وغير ذلك من
الآراء الفلسفية ..

فخير طريقة في تعليم العقائد في التوحيد هي طريقة الشارع الحكيم المبنية
على مراعاة الفطر الإنسانية السليمة ، البعيدة عن الأوضاع والتقنيات البشرية
التي تعب الأوائل في وضعها وأتعبوا الناس في فهمها .

وعلى هذا السنن - وبطريقة واضحة وأبسط - سار الإمام ابن باديس الذي
وضع العقائد على أسس من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الصحيحة .

ولو تفرغ ابن باديس للتأليف لجاءنا منه الشيء الكثير ، خاصة وقد انقطع
للتدريس ربع قرن وأكثر ، وأتم تفسير كلام الله ، وشرح حديث رسول الله
من (موطأ مالك) رضي الله عنه في نيف وعشرين سنة بنفس الطريقة .
ولكنه كان جمّ المشاغل والأعباء : إذ حمل عبء إيقاظ أمة وإنهاض سنة ،

وإماتة بدعة ، ومحاربة جهل مطبق ، ومناوأة مغير قوي ضار غشوم .
فإذا قيسست مؤلفات الإمام ابن باديس بالنسبة إلى عقله الكبير ، وعلمه
الغزير ، وجهاده الخطير ، وسعة الآفاق التي حلق فيها وجال وصال في الميادين
الثقافية والاجتماعية ، بلسانه وقلمه .. لعدت شيئا قليلاً ..

ولكن حسبه - كما ذكرنا - أنه عاش يؤلف النفوس ، ويشيد العقول ،
وينني الرجال كالجبال ، كما قال عنه العلامة الإبراهيمي ، ويهيئ للنهضة أرشد
وأقوم دعائمها في وقت كان ظلامه المطبق ، وإرهاقه المحدث على الجزائر ليس
له مثيل حتى ولا في الأساطير .

وما دفعني - عَلم ربي - إلى نشر هذه الآثار ، نفع مادي أو اشتها ، أو رياء
وافتنار ، فتلك والله أبعد ما تكون عن طبعي وطبيعتي ، وينكرها من يتعلق بها
أو يجهلني ، وإذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه ، كما يقول الشاعر المتنبي .
وإنما دفعني إلى كتابتها ونشرها وجه الله تعالى والانتفاع بها واستجابة لرغبة
العلامة البشير الإبراهيمي - رحمه الله - الذي دفعني إلى هذا العمل ، وتهلل
وجهه حينما شرعت فيه ، ثم كتب مشكوراً تقديماً له .

ووفاء للإمام ابن باديس وإحياء لذكراه ببعض آثاره ، وعملاً بهذا المبدأ
الإسلامي العظيم . ﴿ وَذَكَرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

والله أسأل : أن ينفع بها ، وأن يجعلها خالصة له ، وأن يوفقنا للعمل لما فيه
خير الإسلام والمسلمين .
الجزائر في غرة شوال ١٣٨٥هـ

جانفي ١٩٦٦م

محمد الصالح رمضان

الطبعة الثالثة

طُبعت هذه العقائد مرتين للمعاهد الإسلامية التابعة لوزارة الأوقاف والشؤون الدينية ، مرة بمطابع الكيلاني بالقاهرة سنة ١٩٦٣ بطريق دار الكتاب الجزائري، ومرة ببلنات سنة ١٩٦٦ بطريق مكتبة الشركة الجزيرية بباب عزون ، ثم طبعت مرات بعد ذلك بطريق التصوير من هذه الطبعة أوتنت .

ولما تعددت الجامعات وكثرت المعاهد والكلديات بجزائر ، وتضاعف طلاب العلم والمعرفة أضعافاً مضاعفة والحمد لله ، واندفع شباب المسلم من الطلاب وغيرهم في هذه الصحوة الرشيدة ، يتطلعون إلى معرفة الكثير عن أصول وحقائق دينهم من أوثق مصادره وأصفى منابعه . كثر الطلب على هذه العقائد ، لأنهم يرونها أوثق وأصدق من كتب العقائد التي عملت فيها الأهواء والفرق والنحل قديماً وحديثاً ما لم تعمل في غيرها ، فكانت فوضى فكرية ولبلة مذهبية للقراء العاديين والشبان غير المتمكنين .

وقد كلمني في ذلك الكثير منهم ، كما رغب مني بعض الأساتذة والشيوخ وفي مقدمتهم رئيس المجلس الإسلامي الأعلى أن أعيد طبع العقائد الإسلامية هذه لحاجة الأجيال الصاعدة إليها ، لاختصارها واستيعابها لأصول

العقائد الدينية بطريقة سلفية لا لبس فيها ولا غموض ، مستمدة كلها من الكتاب والسنة لا غير بخلاف كتب التوحيد والعقائد التي تشعب فيها البحث والنظر واتخذ ألواناً من الفكر الفلسفي المستمد من الثقافات الأجنبية والديانات المختلفة. هذا فضلاً عن كتب العقائد للطوائف والفرق الدينية كالشيعة والخوارج والمرجئة، وعلم الكلام الذي توزعت مذاهبه بين الأشاعرة والمعتزلة ، وعمّ الجدل والصراع فيه بين المسلمين إلى حد التفرق والتمزق والتشتت والتفتت ، وألفت المؤلفات التي لا تُحصى في التوحيد أو علم الكلام ، وصار له أئمة ومذاهب شتى ، مثلما وقع في علم الفقه وأصول الدين . ولا حول ولا قوة إلا بالله.

أما هذه العقائد فهي مستمدة من كلام الله والثابت الصحيح من حديث رسول الله ﷺ فقط لا من كلام فلان أو رأي فلان ، وهي الطريقة المثلى في هداية الناس إلى معاني الإسلام والإيمان والإحسان وعقائد الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر .

الجزائر يوم الاثنين ٢٩ محرم سنة ١٤١١ هـ

محمد الصالح رمضان

تقديم

بقلم

فضيلة العلامة [] الشيخ البشير الإبراهيمي - رحمه الله -

شيخ علماء الجزائر ، وعضو مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر
وعضو المجمع اللغوي بالقاهرة ، والمجمع العلمي بدمشق .

الحمد لله حق حمده . وصلى الله على سيدنا محمد رسوله وعبداه ، وعلى
آله وأصحابه الجارين على سنته من بعده .

هذه عدة دروس دينية ، مما كان يلقيه أخونا الإمام سيور شيخ عبد الحميد
ابن باديس - إمام النهضة الدينية والعربية والسياسية في الجزائر غير مدافع - على
تلامذته في الجامع الأخضر بمدينة قسنطينة في أصول عقائد الإسلامية وأدلتها
من القرآن ، على الطريقة السلفية التي اتخذتها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين
منهاجاً لها بعد ذلك ، وبنيت عليها جميع مبادئها ومناهجها في الإصلاح الديني ،
مسترشدة بتلك الأصول التي كان الإمام - رحمه الله - يأخذ بها تلامذته قبل
تأسيس الجمعية ، وإن كانت الجمعية قد توسعت في ذلك .

فالفكرة التي بنى عليها الإمام دروسه وأماليه .. كانت تصحبها فكرة
أخرى أشمل منها وهي فكرة جمعية العلماء . فالفكرتان كانتا مختزنتين في
تلك النفس الكبيرة . وكان رحمه الله يديرهما بذلك النظر البعيد ، ويهيئ لهما

من الوسائل ما يبرزهما في الحين المقدّر لهما .

وكان يجهّد في نفوس تلامذته والمستمعين لدروسه ، ليكونوا في يوم ما قادتها وأعوانها ، وحاملي ألويتها ومنفذي مبادئها ، وناشري الطريقة السلفية الشاملة في العلم والعمل وسائر فروع الإصلاح الديني .

كان الإمام المبرور يصرف تلامذته من جميع الطبقات على تلك الطريقة السلفية.

ومعلوم أن الإصلاح الإسلامي الذي قامت به جمعية العلماء بعد ذلك لا تقوم أصوله إلا على ذلك ، وأن هذا الإمام رفع قواعده وثبّت أصوله وهياً له جيشاً من تلامذته وحاضري دروسه .

والإمام رضي الله عنه كان منذ طلبه للعلم بتونس قبل ذلك - وهو في مقتبل الشباب - ينكر بذوقه ما كان يبيّن عليه مشايخه من تربية تلامذتهم على طريقة المتكلمين في العقائد الإسلامية ، ويتمنى أن يخرج تلامذته على الطريقة القرآنية السلفية في العقائد يوم يصبح معلماً ، وقد بلغه الله أمنيته : فأخرج للأمة الجزائرية أجيالاً على هذه الطريقة السلفية قاموا بحمل الأمانة من بعده ، ووراءهم أجيال أخرى من العوام الذين سعدوا بحضور دروسه ومجالسه العلمية.

وقد تربت هذه الأجيال على هداية القرآن : فهجرت ضلال العقائد وبدع العبادات : فظهرت نفوسها من بقايا الجاهلية التي هي من آثار الطرائق القديمة في التعليم ، وقضت الطريقة القرآنية على العادات والتقاليد المستحكمة في النفوس ، وأتت على سلطانها .

وقد راجت هذه الطريقة وشاعت حتى بين العوام . وإن كانوا لا يحسنون الاستدلال بالقرآن ، وإن كان الاستعداد الكامن في الأمة للإصلاح الديني ، وكثرة حفاظ القرآن فيها أعانا على تثبيت هذا الميل القرآني فيها : فأصبح العامي لا يقبل من العالم كلاماً في الدين إلا إذا استدلل عليه بآية قرآنية . وأصبح العامي إذا سمع الاستدلال بالقرآن أو الحديث .. اهتز وشدعت في شمائله علامة الاقتناع والقبول وهذه أمانة دالة على عودة سلطان القرآن على النفوس يُرجى منها كل خير !

ختم الإمام ابن باديس القرآن كله درساً على هذه الطريقة في خمس وعشرين سنة ، ولو أنه رُزق تلامذة حُرّاًصاً على تلقف كل ما يقوُّنه وينزل عليه الآيات من المعاني ... لوصل إلى الأمة كثير .

كما وصلت هذه الأمالي بعناية الأستاذ الموفق محمد الصالح رمضان القنطري ، فإنه تلقى هذه الدروس ونقلها من إلقاء الإمام واستأذنه في التعليق عليها ونشرها للانتفاع بها فجزاه الله خير الجزاء .

لم ينقل لنا تاريخ العلماء بهذا الوطن أن عالماً ختم تفسير القرآن كله درساً إلا ما جاء فيه عن الشريف التلمساني أنه ختم تفسير القرآن كله في المائة التاسعة ، والشريف حقيق بذلك ، ولكن لم يُنقل لنا منه شيء ، لأن تلامذته كانوا في التقصير كتلامذة ابن باديس . ولو كانوا على درجة من الحرص والاحتياط .. لوصل إلينا شيء من ذلك .

وقد كتب الإمام ابن باديس بقلمه البليغ (مجالس التذكير) ، وهي تفسير لآيات ولأحاديث جامعة كانت تعرض له في تفسير (القرآن) أو في شرح

(الموطأ) التي أقرأها درساً حتى النهاية ، ونشرها في مجلة الشهاب ، ثم فسر سورتي المعوذتين يوم الختم تفسيراً عجيباً ! ونقلها من إلقائه كاتب هذه السطور نقلاً مستوعباً ، بحيث لم تفلت منه كلمة ، ونشره في عدد خاص من مجلة الشهاب وقدم له كاتب هذه السطور أيضاً (١) .

وهذا درس من دروسه ينشره اليوم في أصل العقيدة الإسلامية بدلائلها من الكتاب والسنة تلميذه الصالح كاسمه محمد الصالح رمضان : فجاءت عقيدة مثلى يتعلمها الطالب فيأتي منه مسلم سلفي ، موحد لربه بدلائل القرآن ، كأحسن ما يكون المسلم النقي ، ويستدل على ما يعتقد في ربه بآية من كلام ربه ، لا بقول السنوسي في عقيدته الصغرى : (أما برهان وجوده تعالى فحدوث العالم!)

كان علماء السلف يرجعون في كل شأن من شؤون الدين إلى القرآن ، بل كان خلقهم كما كان النبي ﷺ ، وكما ثبت في حديث عائشة رضي الله عنها : « كان خلقه القرآن يرضى لرضاه ويغضب لغضبه » وكانوا يحكمون القرآن في كل شيء ، حتى في الخطرات العارضة والسرائر الخفية ، حتى تمكن سلطانه من نفوسهم وأصبحت لا تتحرك ولا تسكن إلا بأمره ونهيه . وأصبحوا يقودون حتى الخلفاء والأمراء بذلك السلطان . وذلك هو السر في علو كلمة الإسلام وسرعة انتشاره في المشارق والمغارب .

فلما تفرقت المذاهب الفقهية ونشأ علم الكلام ، وتفرقت منازعه بين

(١) وأنا جمعت التفسير في مجلد باسم « تفسير ابن باديس » في أكثر من خمسمائة صفحة . ثم شرحت أحاديث كثيرة له في مختلف الأغراض في سفر واحد تحت عنوان (من هدي النبوة) كما نشرهما في مجلة (الشهاب) ، بعنوان (مجالس التذكير) .

الأشاعرة والمعتزلة ، وطمأ علم الجدل ، وتفرق انقسمون شيعاً ، حتى أصبح كل رأي في علم الكلام أو الفقه يتحزب له جماعة . فيصبح مذهباً فقهياً أو كلامياً يلتف حوله جماعة ويجادلون . فضعف سلطان القرآن على النفوس ، وأصبح العلماء لا يلتزمون في الاستدلال بآياته ولا ينتزعون الأحكام منها إلا قليلاً : فعلماء الكلام صاروا يستدلون بالعقل . والفقهاء أصبحوا يستدلون بكلام أئمتهم أو قدماء أتباعهم !

ومن هنا نشأ علم الكلام ، وعمه فقه . وعسى هذه طريقة ألفت المؤلفات التي لا تُحصى في العلمين وانتشرت في أمة وضرت كل مزار .
أما أئمة الفقه ومؤلفاتهم فلا يحصون كثرة .

وأما أئمة الكلام : فالذي توسع في طريقة عقبية ووسع دائرتها فهم جماعة معروفون كفخر الدين الرازي . ونقضي أبي بكر بن الطيب ، وأبي بكر الباقلاني ، والبيضاوي ، وإمام الحرمين . وسعد الدين التفتازاني ، والقاضي عضد الدين الإيجي ، وهؤلاء هم الذين ثبثوا قواعد كلامية والاستدلال على التوحيد بالعقل . ومؤلفاتهم ما زالت إلى يومنا هذا مرجعاً للمتمسكين بهذه الطريقة ، وإن كانت لا تدرس في المدارس إلا قليلاً ، وكلها جارية على الأصول التي أصلها أبو الحسن الأشعري رضي الله عنه ، وآراؤه هي التي يقلدها جمهرة المسلمين ، وهذا كله في الشرق الإسلامي .

وأما مغربنا هذا مع الأندلس فلم يتسع فيه الكلام إلى هذا الحد وإن كانوا يدرسون على هذه الطريقة ويقلدونه ، ويدينون باتباع رأي الأشعري ولم يؤلفوا فيه كتاباً ذا بال إلا الإمام محمد بن يوسف السنوسي التلمساني ، فإنه ألف فيه

على طريقة المشاركة عدة كتب شاعت وانتشرت في الشرق والغرب ، وقررت في أكبر المعاهد الإسلامية كالأزهر .

حتى جاءت دروس الإمام ابن باديس فأحيا بها طريق السلف في دروسه - ومنها هذه الدروس - وأكملتها جمعية العلماء .

فمن مبادئها التي عملت لها بالفعل لزوم الرجوع إلى القرآن في كل شيء لا سيما ما يتعلق بتوحيد الله ، فإن الطريقة المثلى هي الاستدلال على وجود الله وصفاته وما يرجع إلى الغيبات لا يكون إلا بالقرآن ، لأن المؤمن إذا استند في توحيد الله وإثبات ما ثبت له ونفي ما انتفى عنه لا يكون إلا بآية قرآنية محكمة ، فالمؤمن إذا سولت له نفسه المخالفة في شأن من أمور الآخرة ، أو صفات الله ، فإنها لا تسول له مخالفة القرآن .

وقد سلك علماء جمعية العلماء في دروسهم الدينية كلها ، وخطبهم الجمعية طريقة الإمام ابن باديس فرجع سلطان القرآن على النفوس .

فجزى الله أئامنا ابن باديس عن الإسلام خير الجزاء ؛ فإن من أحيا القرآن فقد أحيا الدين كله . وجزى الله إخوانه الذين اتبعوا طريقته توفيقاً للعمل يساوي توفيقهم في العلم ، وجزى الله تلامذته الذين قاموا بحمل الأمانة من بعده .

وهذه دروس من دروسه ينشرها اليوم في أصل العقيدة الإسلامية بدلائلها من الكتاب والسنة الأستاذ محمد الصالح رمضان، أحد طلابه ، فجاءت عقيدة مثلى يتعلمها الطالب فيأتي منه مسلم سلفي موحد لربه بدلائل القرآن كأحسن ما يكون المسلم السلفي ، ويستدل على ما يعتقد في ربه بآية من كلام ربه.

فبحث القائمين على تعليمنا في المدارس الحرة أو الحكومية في الجزائر وغيرها من الأقطار الإسلامية . على اتخاذها أساساً في تربيتهم على التوحيد الصحيح ، بل نحث كل أب مسلم أن يقتنيها لأولاده ، ويحثهم على تعلمها وتفهمها ، وأن يشترك أهل بيتكم في ذلك فكلهم في حاجة إليها .
وفقنا الله جميعاً لاتباع كنه . وسنة نبيه ، والرجوع إليها ، وإلى هدي السلف الصالح في تبين معانيهم .

محمد البشير الإبراهيمي

* * *

افتتاح

الْحَمْدُ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ ، وَنَتُوبُ إِلَيْهِ وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ
أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا
هَادِيَ لَهُ ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَنَشْهَدُ أَنَّ
مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ .

أَمَّا بَعْدُ ؛ فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ
مُحَمَّدٍ ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي
النَّارِ (٢) .

* * *

(٢) هذا ما حفظناه عن أستاذنا الإمام الشيخ عبد الحميد بن باديس، وقد كان يفتح به دروس التفسير العمومية كل ليلة طيلة السنوات التي قرأناها عليه، رحمه الله ورضي عنه .

قواعد الإسلام

بيان قواعد الإسلام الخمس (*)

من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ : شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ ، وَحَجِّ الْبَيْتِ ، » .

الكلام على القاعدة الأولى وما يتعلق بها :

١- لا نجاة (٤) لأحد عند الله تعالى إلا بالدخول في الإسلام لقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ (٥) وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿ (٦) . ونحوه تعنى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (٧) .

(*) القواعد في اللغة : الأسس ، جمع قاعدة وهي من بُنيت أساسه ، وفي الاصطلاح تُطلق على الأصل والقانون والضابط : وتُعرف بأنه مُركبي ينطبق على جميع جزئياته .

والإسلام هو دين الله الصحيح الذي جاء به محمد بن عبد الله ﷺ وهو الانقياد والخضوع ظاهراً وباطناً لما جاء به الرسول . وسيأتي بيانه في متن لغة وشرعاً .

(٣) رواد مسلم في صحيحه (١٦) ، وهذا الحديث أصل عظيم في معرفة الدين ، وعليه اعتماده ،

ورواه البخاري (٨) أيضاً عن عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما) بتقديم الحج وتأخير الصوم .

(٤) النجاة : الخلاص . (٥) الدين : الملة والشريعة ، ويتبع : يطلب ويريد ويرغب .

(٦) آل عمران : ٨٥ .

(٧) البقرة : ١٣٢ ، واصطفى : اختار . والموت على الإسلام وصية إبراهيم وابنه يعقوب لبنيهما عليهم السلام .

٢- الإسلام هو دين الله الذي أرسل به جميع رسله .

لقوله تعالى : ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ ^(٧) ، ولقوله تعالى : ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا﴾ ^(٨) مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ^(٩) ، ولقوله تعالى : ﴿يَحْكُمُ بِهَا﴾ ^(١٠) النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا ^(١١) ولقوله تعالى : ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾ ^(١٢) قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ^(١٣) .

٣- وما جاء به محمد صلى الله عليه وآله وسلم هو الإسلام الذي لا نجاة لأحد إلا بالدخول فيه .

لقوله تعالى : ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي﴾ ^(١٤) لِلَّهِ رَبِّ

(٧) أي لا دين مرضي عند الله سوى الإسلام ، وهو التوحيد والعمل بالشرع الذي جاء به محمد ﷺ . والتسليم والانقياد لأمر الله تعالى .

(٨) حنيفاً : أي مائلاً عن الباطل إلى دين الحق . (٩) آل عمران : ٦٧ .

(١٠) الضمير في (بها) عائذ على التوراة ، وهو الكتاب المنزّل من عند الله على سيدنا موسى عليه السلام .

(١١) المائدة : ٤٤ .

(١٢) الضمير لليهود والنصارى . والأمانى هي المتمنيات الباطلة . والبرهان : الحجة والدليل .

بلى : حرف تصديق ، يختص بالإيجاب سواء كان ما قبله مثبتاً أو منفياً . وأسلم : سلم وانقاد

وتدين بالإسلام . وأسلم وجهه لله : أخلص له نفسه وقصّده وعبادته . (١٣) البقرة : ١١١ .

(١٤) الصلاة في اللغة : الدعاء والتسبيح مطلقاً ، وفي الشرع : الأقوال والأفعال المعروفة في الصلاة .

والنُسك : الذبائح واحتنتها نسيكة ، والنسك : الذبح لله ، ومعنى نسكي هنا عبادتي وتقربي لله .

ومحياتي : حياتي أي ما أفعله في حياتي ، ومماتي أي ما أموت عليه على الإيمان والعمل الصالح

كله لله رب العالمين . رب العالمين : الله جل جلاله ، والرب هو المالك أو المربي ، والعالمين هم

الخلوقات فالله مربيهم ومالكهم ومدبر أمرهم والمعنى أن كل ذلك خالص لله تعالى لا أشرك =

الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أَمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾.

ولقوله تعالى : ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ . وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَسْلَمْتُمْ﴾ (١٦) فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا (١٧) فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٨﴾ .

٤- لا يدخل أحد في الإسلام إلا بالإيمان بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم .
لقوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الرُّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ﴾ (١٩) . ولقوله تعالى : ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ (٢٠) الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ

= معه سواد. وأن أول المسلمين : ينبغي على كل مسلم أن تكون هذه الآية الكريمة شعاره ، في كل مشروع عام أو أمر هام يعود نفعه على المسلمين والإسلام . (١٥) الأنعام: ١٦٢-١٦٣
(١٦) حاجوك : خاصموك وجادوك في شئ بعد أن بينت لهم ، ﴿فقل أسلمت وجهي لله﴾ أي أخلصت نفسي وذاتي كلها لله وحده لا أشرك فيها غيره . ﴿ومن اتبعني﴾ عطف على التاء في أسلمت أي أسلمنا أمورنا لله .

الأميين : الذين يجهلون القراءة والكتابة وهم العرب وقتل لأن غالبهم كانوا أميين ، وليسوا أهل كتاب . أما الذين أوتوا الكتاب من قبلهم فهم اليهود والنصارى . وقد آمن العرب والحمد لله بضرورة العلم والتعليم ، وقطعوا في طريقيهما شوطاً كبيراً بفضل تحريض الإسلام لهم .
أأسلمتم : اتبعتم وتدينتم بالإسلام ؟ يعني أنه قد جاءكم من البينات ما يوجب عليكم الإسلام فهل أسلمتم ؟ أم أنتم باقون على كفركم ؟ وفيه تعبير لهم بالغياوة والعناد .

(١٧) تولوا : أعرضوا وتركوا . والبلاغ : التبليغ والإنذار .

(١٨) آل عمران : ٢٠ . (١٩) النساء : ١٧٠ .

(٢٠) الأمي . هذا وصف شريف محمود للنبي ﷺ وهو معجزة له عليه السلام أعانته على دفع ما زعمته الكفار من أن القرآن أتى به محمد من عنده وليس من عند الله ، مع علمهم بأنه أمي لم يتعلم القراءة ولا الكتابة . وليست الأمية محمودة في غير الأنبياء والمرسلين من بقية الناس .

لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ» (٢١) .

ولقوله صلى الله عليه وسلم : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ (٢٢) : يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ » . رواه مسلم عن أبي هريرة (٢٣) .

٥- الدخول في الإسلام والإيمان بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم يكون بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله .

لقول رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل (٢٤) لما بعثه لليمن : « إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ .. فَادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَتِي أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، فَإِنْ هُمْ

(٢١) الأعراف : ١٥٨ .

(٢٢) الإشارة في قوله ﷺ : (هذه الأمة) لأمة محمد ﷺ ، وهي كل من كان في زمنه ومن جاء أو سيجيء من بعده إلى يوم القيامة من عرب وعجم : لأن محمداً أرسل خاتماً للأنبياء والمرسلين ، ورسالته عامة للإنس والجن فأتمته هم الذين كانوا في وقته ، والذين يأتون من بعده من جميع الأجناس إلى يوم الدين .
وإنما خص اليهودي والنصراني بالذكر ، لأنهما أشد الناس عداوة للإسلام ، ولأنهما صاحبَا كتاب . وإذا كان صاحب الكتاب مأموراً بالإيمان بمحمد ﷺ فأحرى بذلك غيره ممن لا كتاب له .

(٢٣) برقم (١٥٣) ، ومسلم : هو أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري إمام أهل الحديث، بل أحد أعلام أئمة وكبار المبرزين فيه . توفى بنيسابور سنة إحدى وستين ومائتين ، وهو ابن خمس وخمسين سنة رضي الله عنه . وأبو هريرة الدوسي اليماني هو : عبد الرحمن بن صخر حافظ الصحابة ، قال الشافعي : أبو هريرة أحفظ من روى الحديث في دهره ، لازم النبي ﷺ ملازمة دائمة رغبة في العلم والتعلم ، وأكثر من رواية الحديث لأنه كان متفرغاً لذلك جزاءه الله عنا كل خير . أسلم عام خيبر ومات سنة سبع وخمسين رضي الله تعالى عنه عن ثمان وسبعين عاماً .
(٢٤) هو معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الأنصاري الخزرجي . شهد العقبة ويدرأ والمشاهد كلها ، وكان أحد الأربعة من الأنصار الذين جمعوا القرآن على عهد النبي ﷺ ، روى عنه جابر وابن عباس وأبو موسى وخلق كثير، رضي الله عنهم .

أَطَاعُوا لِذَلِكَ .. فَأَعْلِمَهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ ^(٢٥) عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ .. فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ .. فَأَعْلِمَهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً ^(٢٦) تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيائِهِمْ فِئْرَةً عَلَى فُقَرَائِهِمْ ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ .. فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهَا لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ ^(٢٧) رواه مسلم ^(٢٨) .

٦- أول واجب على المكلف ^(٢٩) من مسلم بالغ ، أو كافر يريد الدخول في الإسلام : أن يعلم أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ؛ لحديث معاذ المتقدم ، ولحديث وفاة أبي طالب ^(٣٠) :

«لما حضرت أبا طالب نوافة جاءه رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فوجد عنده أبا جهل وعبد الله بن أبي أمية ^(٣١) فقال رسول الله صلى

(٢٥) افترض : أوجب وقدر .

(٢٦) صدقة : هي زكاة غروضة . وقد سماها الله صدقة بقوله : ﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها﴾ . وبالحسب نعم من ذلك .

(٢٧) كرائم أموالهم : هي ثلثها وحيرها من الإبل وغيرها ، وكانت الإبل أكرم مال عندهم . والكرائم جمع كريمة وهي جمعة كرم . تمكن في حقها من غزارة لبن وجمال صورة أو كثرة لحم أو صوف . وعظيم مدح .

اتق دعوة المظلوم : حذر ونجس دعوته عيث . ونقصود النهي عن ارتكاب الظلم المفضي إلى دعاء المظلوم على الظالم . وصبر وصبر ولا تقم منه .

يعني أنها مستجابة مقبولة لا ترد . وفي رواية مسلم : (فإنه) بدل من (فإنها) . (وشهادة أن لا إله إلا الله) بالإنفراد لا بالتثنية و(فترد في فقرائهم) عوضاً عن (على فقرائهم)

(٢٨) برقم (١٩) . (٢٩) مكلف : هو البالغ العاقل من ذكر أو أنثى .

(٣٠) أبو طالب : هو عم النبي ﷺ وكفنه بعد موت جده عبد المطلب ، وهو أبو سيدنا علي بن أبي طالب رابع الخلفاء الراشدين (رضي الله عنه) وسمي أبي طالب عبد مناف .

(٣١) أبو جهل : عمرو بن هشام . وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة من سادة قريش وأشرافها ، ومن رؤساء المشركين وقادتها . ومن أكثر الناس عداوة لنبي وأصحابه .

اللَّهُ عليه وآله وسلم: «يَا عَمَّ قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ كَلِمَةُ أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ» (٣٢)، فقال أبو جهل، وعبد الله بن أبي أمية: يَا أَبَا طَالِبٍ، أَتَرْغَبُ عَنْ مَلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ (٣٣)؟! فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَعْرِضُهَا (٣٤) عَلَيْهِ، وَيُعِيدَانِ عَلَيْهِ تِلْكَ الْمَقَالَةَ (٣٥) حَتَّى قَالَ أَبُو طَالِبٍ آخِرَ مَا كَلَّمَهُمْ: هُوَ عَلَى مَلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ (٣٦) وَأَبَى أَنْ يَقُولَ: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ (٣٧)).

(٣٣) أي أعرض عنها وتركها!؟ وعبد المطلب هو جد النبي ﷺ وأبو عمه هذا.
(٣٤) يعرضها (يفتح الياء وكسر الراء) أي كلمة الشهادة.
(٣٥) يعيدان: بالثنية. والضمير لأبي جهل وعبد الله بن أبي أمية. وتلك المقالة هي قولهما (أترغب عن ملة عبد المطلب)؟ وفي رواية مسلم (ويعيد له) بالافراد حينئذ فالضمير للنبي ﷺ وتلك المقالة: هي قوله ﷺ «قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ كَلِمَةُ أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ» .
والمعنى: أن النبي ﷺ كان يلح على عمه أن ينطق بكلمة الشهادة، ولذلك كان يعرضها عليه ويعيدها له.

والنووي يقول: وقع في جميع الأصول ويعيد له يعني أبا طالب، وكذا نقله القاضي رحمه الله عن جميع الأصول والشيوخ وقال وفي نسخة: ويعيدان على الثنية لأبي جهل وابن أبي أمية. قال القاضي: وهذا أثبه.

وما أثبتته أستاذنا الإمام ابن باديس - وهو محقق في هذا الباب - إلا لاعتقاده صوابه. والله أعلم.
(٣٦) من حسن الأدب أن يروي الإنسان كلام غيره إذا كان قبيحاً - فضلاً عما إذا كان كفرًا - بضمير الغيبة مثل ماورد هنا.

(٣٢، ٣٧) أخرجه البخاري (١٣٦٠) ومسلم (٢٤) في صحيحيهما من رواية سعيد بن المسيب عن النبي ﷺ.

وتمامه فقال رسول الله ﷺ: «أَمَّا وَاللَّهِ لَا اسْتَغْفِرُونَ لَكَ مَا لَمْ أَلَمْ أَنُكَّ عَنْكَ» فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أَوْلَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾. وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَىٰ فِي شَأْنِ أَبِي طَالِبٍ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾.

وفيه دليل على صحة إسلام من حضره الموت، ما لم يشرع في النزع، وهو الغرغرة. ونسخ جواز الاستغفار للمشركين.

والدليل على أن من مات على الشرك فهو من أصحاب الجحيم، ولا ينقذه من ذلك شيء من الوسائل.

ولقوله صلى الله عليه وسلم : « أَمَرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَيُؤْمِنُوا بِي وَبِمَا جِئْتُ بِهِ ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بَحَقَّهَا ، وَحَسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ » (٣٨) .

٧- لا يكفي النطق بكلمتي الشهادة إذا كان الناطق بهما لا يفهم أصل معناهما .

لقوله صلى الله عليه وآله وسلم في الحديث المتقدم : « أَمَرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَيُؤْمِنُوا بِي وَبِمَا جِئْتُ بِهِ » .

٨ - ويكفي للدخول في الإسلام ما دل على معناها . لحديث بني جذيمة ، قال عبد الله بن عمر (٣٩) :

(٣٨) روى الحديث مسلم (٣١) وغيره عن أبي هريرة . يشهدوا : يعلموا ويتحققوا وحدانية الله تعالى . ومعلوم أن المراد بالناس هنا : ناس مشركون . يؤمنوا بي : يصدقوا بنبوته ورسالته .

عصموا : حفظوا ووقوا . أي إذا أضعوا وامتلوا لما جتتهم به حفظوا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق من حقوق الإسلام : كمن قتل نفساً بغير نفس ، أو بغير ذلك من موجبات القصاص الشرعي ، أو امتنع من أداء الزكاة ، أما حسابهم بعد ذلك على سرائرهم ، فعلى الله المطلع على كل غيب .

ونحن مأمورون بالحكم على الظواهر وترك السرائر لله .

(٣٩) بنو جذيمة : حي من كنانة كانوا بأسفل مكة على بعد ليلة منها ، يُنسبون إلى جذيمة بن عامر بن عبد مناة بن كنانة .

وجذيمة بضم الجيم وفتح الذال المعجمة بعدها ياء (آخر حروف الهجاء) ساكنة هكذا رويناه عن أستاذنا الإمام ابن باديس .

وفي شرح العيني على البخاري : بفتح الجيم وكسر الذال ومثله في فتح الباري على البخاري . وعبد الله بن عمر : هو ابن سيدنا عمر بن الخطاب ثاني الخلفاء الراشدين (رضي الله عنهما) أسلم مع أبيه وهو صغير .

بل روي أنه أول مولود وُلد في الإسلام واستصغر يوم أحد ، وشهد الخندق وما بعدها وقال =

«بعث النبي ﷺ صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد^(٤٠) إلى بني جذيمة ، فدعاهم إلى الإسلام فلم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا، فجعلوا يقولون : صباناً^(٤١)، فجعل خالد يقتل منهم ويأسر ، ودفع إلى كل رجل منّا أسيره . فقلت : والله لا أقتل أسيري ، ولا يقتل أحد من أصحابي أسيره حتى قدمنا على النبي ﷺ صلى الله عليه وآله وسلم فذكرناه له ، فرفع النبي ﷺ يده فقال : «اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد مرتين^(٤٢)» رواد البخاري^(٤٣) .

= فيه النبي ﷺ إنه رجل صالح .

وقال ابن مسعود : إن من أملك شباب قريش لنفسه عن الدنيا عبد الله بن عمر . وهو من الرواة البارزين توفي سنة ثلاث وسبعين وقيل أربع وسبعين (رضي الله عنه) .
(٤٠) خالد بن الوليد هو سيف الله المسلول على الكافرين ، والقائد الذي لم يُغلب . وهو فاقئ عين الردة وقاتل السواد ، وصاحب يوم اليرموك ، والذي أبلى في جهاد دولتي الروم والفرس البلاء الحسن . ولا يعرف التاريخ قائداً أعظم منه ، أسلم سنة ثمان ومات سنة إحدى وعشرين بحمص . وهو القاتل لما أدركته الوفاة : شهدت مائة زحف أو زهاءها وما في بدني شبراً إلا وفيه طعنة أو ضربة ، وما أنا ذا أموت في فراشي كما يموت البعير فلا نامت أعين الجبناء ! وكان ذهاب خالد إلى بني جذيمة بعد فتح مكة وقبل غزوة حنين في ثلاثمائة وخمسين رجلاً من أنصار ومهاجرين وغيرهم .
(٤١) صباناً : من صبا إذا خرج من دين إلى آخر . وكان القرشيون يقولون لكل من أسلم : صبا .
وبنو جذيمة يريدون بقولهم : (صباناً) أسلمنا .

وقد فهم ابن عمر أنهم أرادوا الإسلام حقيقة ولذلك لم يقتل أسيره وأمر أصحابه ألا يقتلوا أسراهم . أما خالد فإنه لم يفهم منهم الدخول في الإسلام ولذلك قاتلهم حتى يصرحوا بالإسلام . ولم يكن خالد في فقه الدين وفهم أسرارهم كإبن عمر وغيره من فقهاء الصحابة ، ولذلك خفيت عليه هذه المسألة .
(٤٢) لعل النبي ﷺ ما نقم من خالد إلا عجلته وعدم تثبته كما قال الخطابي ، وقد اعتذر عن خالد أئمة (يُعتد برأيهم في مثل هذا) بأعذار واضحة صريحة ، ولا أدل على أن ما فعله خالد ليس إلا عن اجتهاد وتأويل من أنه بقي حائزاً ثقة النبي ﷺ متمتعاً برضاه ، وقد أولاه قيادة جيوش أخرى بعد هذه الحادثة .

(٤٣) برقم (٧١٨٩) ، و البخاري من أئمة الرواة المشهورين وهو أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، أولع بالأحاديث النبوية الشريفة ، وطاف من أجلها المدن والأصهار ينشد ضالته =

٩ - ولا يكفي النطق بالشهادتين وفهم معناهما .. إلا مع التصديق التام والاعتقاد الجازم به .

لقوله تعالى : ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾^(٤٤) ، ولقوله تعالى : ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴾^(٤٥) .

١٠ - من حصل له يقين بخبر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كفاه ذلك اليقين حديث ضمه بن ثعبان . قل أنس رضي الله تعالى عنه :

(بينما نحن جوس مع نبي صلى الله عليه وآله وسلم في المسجد إذ دخل رجل على جمل فدخله في مسجد ثم عقبه^(٤٦)) ثم قال : أَيُّكُمْ مُحَمَّدٌ ؟ قلنا : هذا الرجل الأبيض متكئ .

فقال : ابن عبد المطلب^(٤٧) فقال نبي صلى الله عليه وآله وسلم : « قَدْ أُجِبْتُ »^(٤٨) .

= فيها، يتصل بالمحدثين ويأخذ منهم . له كتب (جمع صحيح) مشهور (صحيح البخاري) وهو أول كتب السنة في الحديث وأفضله على ذرّج عند محققين ، ولذلك أحلّ الناس البخاري محلّ الإمام المتبع بين علماء هذا الفن . وشهد له عمه عصره بتفرده في الرواية والدراية . وقد بذل في نقد الأحاديث وتمحيصها ما هو فوق طاقة شؤفة في البشر . (رضي الله عنه).

(٤٤) هذا شطر من كلمتي الشهادة وهو آية قرآنية (١٩) من سورة محمد ﷺ والشطر الثاني منها هو : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ﴾ آية قرآنية أيضاً في آخر سورة الفتح فكلمة الشهادة إذن متراكبة من آيتين هما ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ﴾ .

(٤٥) فَنُطِقُ الْمُنَافِقِينَ وفهمهم للشهادة لم يقدم لانعدام تصديقهم وعدم اعتقادهم بما يقولون ، والمنافق من يظهر غير ما يبطن . وهو شر من الكافر؛ لأن الكافر حاله ظاهر . (٤٦) المنافقون: ١ .

(٤٧) أناخه : أبركه . وعقله : ثني ذراعه فشدّها بالعقال وهو الخيل .

(٤٨) ابن عبد المطلب: هو علي حذف النداء أي يا ابن عبد المطلب .

(٤٩) أجبت: أي نعم أنا ابن عبد المطلب .

فقال : إني سائلك فمشدد عليك في المسألة فلا تجد^(٥٠) علي في نفسك ، قال :
« سل عما بدا لك »^(٥١) .

فقال : أسألك بربك^(٥٢) ورب من قبلك : آله أرسلك إلى الناس كلهم ؟
قال : « اللهم نعم » .

قال : أنشدك بالله^(٥٣) تعالى : آله أمرك أن تصوم هذا الشهر^(٥٤) من
السنة ؟ قال : « اللهم نعم » .

قال أنشدك بالله تعالى : آله أمرك أن تأخذ هذه الصدقة^(٥٥) من أغنيائنا ،
فتقسّمها على فقرائنا ؟ قال : « اللهم نعم » .

قال الرجل : آمنت بما جئت به ، وأنا رسول^(٥٦) من ورأي من قومي ، وأنا
ضيمام بن ثعلبة أخو بني سعد بن بكر^(٥٧) . رواه البخاري ومسلم^(٥٨)
وغيرهما .

(٥٠) وجد عليه : غضب ، ووجد به أحبه حباً شديداً ، ووجد له حزن .

(٥١) بدا لك : عما ظهر لك .

(٥٢) أسألك بربك : أتخلفك بالذي خلقتك .

(٥٣) أنشدك بالله : أسألك وأستحلفك به تعالى .

(٥٤) هذا الشهر : الإشارة لشهر رمضان لأن هذه المحادثة كانت فيه ، ولذلك لم يذكره
واكتفى بالإشارة إليه .

(٥٥) الصدقة : المراد بها الزكاة الواجبة قال تعالى : ﴿ خذ من أموالهم صدقة تطهرهم
وتزكيهم بها ﴾ .

(٥٦) رسول : بمعنى مرسول من قومه للسؤال والوقوف على حقيقة الدين الجديد .

(٥٧) أخو بني سعد بن بكر : أي من قبيلتهم ومن هذه القبيلة حليلة السعدية مرضع النبي ﷺ
فبنو سعد بن بكر إذن أحوال النبي ﷺ من الرضاع .

(٥٨) خ (٦٣) ومسلم بطريق ثابت عن أنس بمعناه برقم (١٢) .

١١ - يجب على المؤمن مع تصديقه وجزمه أن يصرف في آيات الله ويستعمل عقله للفهم ، كما تجب عليه جميع الواجبات في الإسلام .
 لقوله تعالى : ﴿ قُلْ انظُرُوا ۖ مَاذَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ ﴾ (٦٠) ،
 ﴿ فَلْيَنْظُرِ الْاِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴾ (٦١) ، ﴿ فَلْيَنْظُرِ الْاِنْسَانُ بِمَى طَعَامِهِ ﴾ (٦٢) ،
 ﴿ اَفَلَا يَنْظُرُوْنَ اِلَى الْاِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۚ وَاِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۚ وَاِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۚ وَاِلَى الْاَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ۚ ﴾ (٦٣) .

(٥٩) انظروا : أي نظر تفكير واعتبار ، أو نظر استغلال واستثمار - يقع تحت سمعكم وبصركم في السموات والأرضين .

(٦٠) يونس : ١٠٣ .

(٦١) الطارق : ٥ . المعنى لينظر الإنسان إلى نفسه كيف خلق من ماء دافق يخرج من بين صلب الرجل وترائب المرأة ، ثم يودعه الله في رحم المرأة نصفه ثم عفة ثم مصغة مخلقة ، وغير مخلقة حتى يتم حمله وفصاله ، ثم يخرج إلى العالم ويحدر أصوار شيوخ وشري : الطفولة والغلومة والشباب والكهولة . ثم يتدرج في المعارج . ثم يعود فيرب إلى أرض عمر فتبارك الله أحسن الخالقين .

(٦٢) عبس : ٢٤ . والمعنى : لينظر الإنسان إلى ما يحيط به كطعمه الذي يفتته وتوقف عليه حياته ، كيف أعده الله له : ﴿ اَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ۚ ثُمَّ شَقَقْنَا الْاَرْضَ شَقًّا ۚ فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ۚ وَعَبْنَا وَقَضَبًّا ۚ وَزَيَّنَّا وَنَخَلًا ۚ وَحَدَّائِقَ غُلْبًا ۚ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ۚ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴾ ، ثم كيف هضمه في المعدة للانتفاع به ، وبه تنفذ وسماء الإنسان والحيوان .
 (٦٣) الغاشية : ١٧ - ٢٠ والمعنى : ولينظر الإنسان ما يحيط به من حيوان كالإبل اللازمة للعرب في سفرهم وإقامتهم ، والتي منها يأكلون ويشربون . ويسمون . وعليها يرتحلون ويحاربون ، وبها يتفاحرون ويتغنون ، فليتأملوا خلقها من صبر على جوع وضماً وتحمل لأتعب السفر ومشاقه . ولينظروا إلى السماء كيف رفعت بغير عمد . وإلى جبل كيف نُصبت كالعمد أو تاداً للأرض ومعالم للسائرين عليها .

ولينظروا إلى الأرض كيف سطحت للناس ومهدت ، ليتمكن لهم السير فيها والانتفاع منها .
 هذه أمثلة لكيفية النظر المطلوب في آيات الله السمعية والكونية مما يقع تحت حس العرب وبصرهم في بداوتهم وحضرهم .

١٢ - النظر الواجب على المكلف هو النظر على الطريقة التي جاء بها القرآن، كما في الآيات المتقدمة لقوله تعالى :
﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾ (٦٤) .

١٣ - من عرضت له شبهة (٦٥) وجب عليه أن يبادر إلى إزالتها بالنظر بنفسه، أو بسؤال غيره من أهل العلم لقوله تعالى :
﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾ (٦٧)،
ولقوله تعالى : ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍّ مِمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ (٦٨)، ولقوله تعالى : ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٦٩) .

١٤ - من وردت على قلبه خطرات من دون شبهة فليستعذ بالله (٧٠) وليقل :
آمنت بالله ورسوله . لقوله تعالى :

(٦٤) التوبة ٦، استجارك : طلب جوارك أي التجأ إليك مستغيثاً بك طالباً ذمأمك وأمانك فأعطه إياه ، لتسمعه كلام الله، وهو المراد من الاستشهاد هنا بهذه الآية .
وأبلغه مأمنه : أوصله إلى موضع أمانه ، انتفع بتفكيرك أو لم ينتفع .
يظهر أن الاستشهاد بهذه الآية بعيد ولكن المقصود منها عرض آيات الله على الغير ليستعملوا فيها أفكارهم .

(٦٥) الشبهة: المأخذ الذي يلتبس فيه الحق بالباطل والحلال بالحرام وُسُمت بذلك لأنها تشبه الحق .

(٦٦) ريب : شك . (٦٧) البقرة : ٢٣ .

(٦٨) يونس : ٩٤ . (٦٩) النحل : ٤٣ .

(٧٠) الاستعاذة بالله هي الالتجاء إليه والاعتصام به من شر هذا الوسواس الخناس .

﴿وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ ۖ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (٧٢).

ولحديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ فَيَقُولُ : مَنْ خَلَقَ كَذَا وَكَذَا ؟ حَتَّى يَقُولَ لَهُ مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ ؟ فَإِذَا بَلَغَ ذَلِكَ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ وَلْيَنْتَه » (٧٣)، ومن طريق آخر : «فَلْيَقُلْ: آمَنْتُ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ» (٧٤).

* * *

(٧١) النزغ: هو الإفساد والإغراء، ونَزَغَ الشَّيْطَانُ وسأوسه وما يحمل به الإنسان على ارتكاب المعاصي يقال: (نَزَغَ الشَّيْطَانُ إِلَى الْمُعَاصِي) إذا حثه عليها ورغبه فيها، ونحن نقول: (نَزَغَ فلان الدابة) إذا همزها بالمهماز أو غيره ليحملها على السير.

(٧٢) فصلت: ٣٦.

(٧٣) البخاري (٣٢٧٦). ومسلم (١٣٤). وغيرهما.

(٧٤) وخلاصة مما تقدم:

١- أن الإسلام هو دين الله المرضي، وخاتمة الرسالات السماوية، ولا بد لكل إنسان من الإيمان

ب- وشروط الدخول في الإسلام: الشهادة بوحداية الله تعالى، ورسالة محمد ﷺ، ولا بد من تصديقهم، أو ما دل على معانها إذا تعذر النطق بلفظهما.

ج- ولا بد من تصديق والاعتقاد الجازم بعد النطق والفهم.

د- وحصر في ثلاث كونه في كتاب الله الصامت (الطبيعة) وكتاب الله الناطق (القرآن)

وحد تصور

بيان معنى الإسلام

١٥- يجيء لفظ الإسلام في لسان الشرع مراداً به الدين كله الذي جاء به محمد صلى الله عليه وآله وسلم من العقائد والأعمال والأحكام .
لقلوه تعالى : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ وقلوه تعالى : ﴿ وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ .

ولقلوه صلى الله عليه وآله وسلم : « بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ ... الخ » .
١٦- الإسلام الذي سُمِّي به الدين معناه الانقياد ^(٧٤) لله تعالى ظاهراً وباطناً، والإخلاص ^(٧٥) له فيهما . لقلوه تعالى :

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴾ ^(٧٦) .
ولقلوه تعالى : ﴿ بَلَى ^(٧٧) مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ

^(٧٤) الانقياد : الخضوع والإذعان والاستسلام لله عز وجل .

^(٧٥) الإخلاص : الصفاء والخلوص من أخلص له الحب أو النصيحة ، إذا خلصهما وصفاهما من الغش والكدر، والرياء .

^(٧٦) النساء : ١٢٥ . أسلم له وجهه : انقاد له وأخلص له نفسه وقصده .

والحنيف : المائل عن جميع الملل الضالة إلى الدين الحق .

والخليل : الصديق المخلص، والحيب ، والصفى .

^(٧٧) بلى : حرف تصديق يختص بالإيجاب سواء كان مثبتاً أو منقياً .

رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٧٨﴾ . وَلَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ فَقُلْ أَسْلَمْتُ
وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ ﴾ (٧٩) .

١٧ - الدين كله انقياد لله وإخلاص له ، ولذلك سُمي إسلاماً . لقوله
تعالى : ﴿ وَمَا أَمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ ﴾ (٨٠) لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا
الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴾ (٨١) .

١٨ - ويجيء الإسلام في لسان الشرع أيضاً بمعنى الأعمال الظاهرة الدالة
بحسب الظاهر على الانقياد والإذعان (٨٢) المبنية على تصديق التام لما جاء في
حديث سؤال جبريل (٨٣) عليه السلام قال :

« يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
وَسَلَّمَ : الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، وَتَقِيمَ الصَّلَاةَ ،

(٧٨) البقرة : ١١٢ .

(٧٩) آل عمران : ٢٠ .

(٨٠) أمروا : أي أهل الكتاب في التوراة والإنجيل . والمعنى : أنهم أمروا بإخلاص العبادة لله
وعدم الإشراك به شيئاً من المخلوقات في شيء من العبادات . . . وترياء والسمعة فيها من شر
الآفات ، حتى تقلب الطاعة معصية .

على المؤمن أن يزيل الشبهات بالعلم والتعلم ، والتعوذ من الشيطان لإبعاده بوساوسه ونزغاته . إلى
الاعتقاد الصحيح ، ولزيادة الإيمان ، ورسوخ اليقين .

(٨١) البينة : ٥ . حنفاء : جمع حنيف ، وإقامة الصلاة : تقويمها بالاعتناء بها والمواظبة عليها :
وإيتاء الزكاة إخراج حق الله المشروع في مال الأغنياء ، يُعطى للفقراء والمساكين ، ويُصرف
في صالح المسلمين .

ويقيموا ويؤتوا : معطوفان على ليعبدوا عطف الخاص على العام .

ودين القيمة : هو على حذف مضاف أي دين الأمة القيمة بمعنى المستقيمة .

(٨٢) الإذعان : الانقياد والخضوع .

(٨٣) جبريل أو جبرائيل اسم ملك كريم من ملائكة الله المقربين وهو الواسطة بين الله ورسله
في تبليغ الوحي ويدعى أيضاً الروح الأمين .

وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ ، وَتَحُجُّ الْبَيْتَ ^(٨٤) إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ، قَالَ جِبْرِيلُ : صَدَقْتَ ^(٨٥) . رواه مسلم وغيره .

١٩- ويجيء الإسلام بمعنى الاستسلام في الظاهر دون إيمان ^(٨٧) في القلب ، وهذا لا ينفع صاحبه ، لقوله تعالى :

﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا ^(٨٨) وَلَمَّا يَدْخُلِ

(٨٤) تصوم رمضان : تمسك عن المفطرات والنسبهات التي بينها الشارع من طلوع الفجر إلى غروب الشمس في شهر رمضان من كل عام .

تحج البيت : تقصد بيت الله الحرام بمكة للنسك والقيام بالشعائر المعروفة لمن استطاع ذلك .
(٨٥) وتام الحديث حسب ما جاء في صحيح مسلم : (قال عبد الله بن عمر : حدثني أبي عمر ابن الخطاب قال : بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر ، لا يرى عليه أثر السفر ، ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبي ﷺ ، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ، ووضع كفيه على فخذيه وقال : يا محمد أخبرني عن الإسلام؟ فقال ؟ رسول الله ﷺ : «الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً» . قال : صدقت . قال : فعجبنا له يسأله ويصدقه !!

قال : فأخبرني عن الإيمان ، قال ﷺ : «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره» ، قال : صدقت .

قال : فأخبرني عن الإحسان ، قال رسول الله ﷺ : «أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك» .

قال : فأخبرني عن الساعة ، قال رسول الله ﷺ : «ما المسؤول عنها بأعلم من السائل» .
قال : فأخبرني عن أماراتها قال رسول الله ﷺ : «أن تلد الأمة رببتها ، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان» . (وكل ذلك كناية عن إسناد الأمر لغير أهله) .

قال : ثم انطلق . فلبث ملياً ثم قال لي رسول الله : «يا عمر أتدري من السائل» ، فقلت : الله ورسوله أعلم قال : «فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم» ج (١) ص (١٥٦-١٦٠) . ورقمه (٨) . [ورواه البخاري (٥٠) ومسلم (٩) وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه] الناشر .

(٨٧) الإيمان : نقض الكفر وهو التصديق ولا يكون إلا بالقلب وسيأتي بيانه الكامل في المتن لغة وشرعاً .
(٨٨) الأعرب : أهل البدو من العرب واحده أعربي ، والمراد بهم هنا نفر من بني أسد . =

الإيمانُ في قلوبكم ﴿٨٩﴾.

ولحديث سعد (٩٠):

«أعطى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رهطاً (٩١) وسعدٌ جالسٌ (٩٢) فيهم ، قال : فترك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منهم من لم يعطه (٩٣) وهو أعجبهم إليَّ (٩٤) ، فقلتُ : يا رسول الله مالك عن فلان ؟ فوالله إني لأراه

= لم تؤمنوا : يعني الإيمان الحقيقي الذي معناه التصديق التام مع طمأنينة القلب . أسلمنا : دخلنا في الإسلام ، والإسلام هـ بمعنى الاستسلام أي قمنا بالأعمال الظاهرة فقط ، وكل ما يقوم به الإنسان دون موافقة قلب فهو إسلام ، وما وافق القلب فيه اللسان فهو إيمان .

(٨٩) الحجرات : ١٤ .

(٩٠) سعد هذا هو ذلك الصحابي خبيث سعد بن أبي وقاص مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة زهري أبو إسحاق .

أحد العشرة المبشرين بالجنة . وأول من رمى بسهم في سبيل الله ، وهو فارس الإسلام ، وحارس رسول الله ﷺ حيث قال : «ليت رجلاً صالحاً يحرسني الليلة» ، وسابع سبعة في الإسلام ، وأحد أهل الثموري ستة . وأحد ستة الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض ، وأحد من فداه رسول الله ﷺ بثيئه وأمه . وأحد مجابي الدعوة ، وأحد الرماة الذين لا يخطئون ، دعا له النبي ﷺ اللهم سدد رميته واجب دعوته .

وهو الذي تولى قتل فارس وكوف الكوفة ، وكان ممن قعد في الفتنة ولزم بيته ، وأمر أهله أن لا يخبروه من أخبار الناس بشيء حتى تجتمع الأمة على إمام .

مات بالعقيق عنى عشرة أميل من المدينة ، وحُمل على الرقاب إلى البقيع سنة خمس وخمسين عن (٨٣) أو (٨٢) عمراً رضي الله عنه وأرضاه .

(٩١) الرهط : الجماعة من الناس من الثلاثة إلى العشرة ليس فيهم امرأة ، لا واحد له من لفظه ، وجمعه : أرهط وأرهاط وأرهط وأراهيط ، وهذا الرهط من المؤلفات قلوبهم أي من حديثي العهد بالإسلام .

(٩٢) هذا في البلاغة من باب الالتفات من التكلم - الذي هو مقتضى المقام هنا - إلى الغيبة .

(٩٣) يعني رجلاً من المسلمين وهو جعيل بن سراقة الضمري المهاجري .

(٩٤) أعجبهم إليَّ : أحسنهم عندي إيماناً .

مُؤْمِنًا^(٩٥) ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : «أَوْ مُسْلِمًا»^(٩٦) ؟
 فَسَكَتَ قَلِيلًا ثُمَّ غَلَبَنِي مَا أَعْلَمُ مِنْهُ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا لَكَ عَنْ
 فُلَانٍ ؟ فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَرَاهُ مُؤْمِنًا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ :
 «أَوْ مُسْلِمًا» ؟.

فَسَكَتَ قَلِيلًا ثُمَّ غَلَبَنِي مَا أَعْلَمُ مِنْهُ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا لَكَ عَنْ فُلَانٍ ؟
 فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَرَاهُ مُؤْمِنًا ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : «أَوْ
 مُسْلِمًا» ؟.

إِنِّي لَأَعْطِي الرَّجُلَ وَغَيْرَهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهُ^(٩٧) خَشْيَةَ أَنْ يُكَبَّ فِي النَّارِ عَلَى
 وَجْهِهِ»^(٩٨) . رواه مسلم^(٩٩) .

(٩٥) أراه مؤمناً : أعتقد صدق إيمانه وتصديقه ، وأرى هنا بفتح الهمزة أي أعلمه كذلك ، ولا
 يجوز ضمها لأن سعاداً كان جازماً بصحة إيمان الرجل .

(٩٦) أو مسلماً : لا يفهم من هذا أن الرجل غير مؤمن بدليل قوله ﷺ من بعد «وغيره أحب
 إلي» بل المراد منه : النهي عن الجزم بإيمان المرء ما دام محل الإيمان هو القلب ، ولا يطلع على ما
 في القلوب إلا علام الغيوب ، فالأولى في الحكم بالقطع أن يكون على الظواهر دون السرائر .
 فكان الرسول ﷺ يشير لسعد أن يحكم على ما يظهر له من الرجل فيجزم بإسلامه الظاهر دون
 إيمانه الخفي الذي لا يعلمه إلا الله .

(٩٧) أحب إلي منه : يعني من جهة الإيمان .

(٩٨) كان رسول الله ﷺ يتألف قوماً من المسلمين حديثي عهد بالإسلام بما يعطيهم لضعف
 إيمانهم خوفاً عليهم من أن يكفروا فيكفروا في النار على وجوههم كما قيل : (وطالما استعبد
 الإنسان إحسان) . أما أقوياء الإيمان فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون . وقد سأل الأنصار النبي
 ﷺ يوم حنين وهو يعطي القرشيين مما أفاء الله عليه فقال : « إني لأعطي رجالاً حديثي عهد
 بكفر أتالفهم وأصانهم ، أفلا ترضون أن يذهب الناس بالأموال ، وترجعون برسول الله إلى
 رجالكم »؟.

(٩٩) برقم (١٥٠) .

بيان معنى الإيمان

٢٠- الإيمان في اللغة هو التصديق ، لقوله تعالى :

﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ ^(١٠٠) لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ ^(١٠١).

٢١- محل الإيمان بمعنى التصديق الجازم هو القلب . لقوله تعالى :

﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ ، ﴿إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾ ^(١٠٢) .
ولحديث أبي سعيد الخدري ^(١٠٣) رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

«يَدْخُلُ اللَّهُ أَهْلَ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ بِرَحْمَتِهِ، وَيُدْخِلُ أَهْلَ النَّارِ النَّارَ ثُمَّ يَقُولُ: انْظُرُوا مَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ خَرَدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ

(١٠٠) مؤمن لنا : أي مصدق لنا .

(١٠١) يوسف : ١٧ .

(١٠٢) التوبة : ٤٥ . يستأذنك : يطلب منك الإذن في التخلف عن الجهاد .

وارتابت قلوبهم : شككت في الدين أو في الانتصار . ويترددون : يفتارون ويتأرجحون .

(١٠٣) أبو سعيد الخدري هو سعد بن مالك الأنصاري ، أحد علماء الصحابة ومكثرهم ، وأحد

من بايع تحت الشجرة . أول مشاهدته : الخندق . وغزا مع النبي ﷺ اثنتي عشرة غزوة . وكان

ممن حفظ عن النبي ﷺ سنناً كثيرة وعلماً جماً . وكان من نجباء الصحابة وفضلائهم . مات

سنة أربع وسبعين وله نيف وسبعون سنة .

فَأَخْرِجُوهُ^(١٠٤)» رواه مسلم^(١٠٥).

٢٢- ويجيء لفظ الإيمان في لسان الشرع مراداً به التصديق الجازم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، والقدر كله خيره وشره حلوه ومره^(١٠٦). لقوله تعالى :

﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ﴾^(١٠٧).

ولحديث سؤال جبريل عليه السلام ، قال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم :
أخبرني عن الإيمان ؟ قال : « أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ كُلِّهِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ حُلُوهُ وَمُرَّةُ^(١٠٨) » .

(١٠٤) مثقال ذرة من خردل من إيمان : مثقال الشيء وزنه ومقداره والمراد بهذا القدر ، القدر الزائد عن أصل التوحيد كما قيل . والذرة واحدة الذر وهو الهباء المنتشر في الهواء ، والمراد بها هنا حبة الخردل الجامع بينهما وهو الصغر في كل .
والخردل: نبات معروف له حب صغير جداً يشبه به الشيء المتناهي في الصغر والمقصود من ذرة الخردل التمثيل لا حقيقة الوزن والمقدار ؛ لأن الإيمان شيء معنوي وليس بجسم مادي حتى يوزن أو يُقَدَّر .

(١٠٥) برقم (١٨٤).

(١٠٦) الملائكة : أرواح لطيفة مخلوقة من النور لا يوصفون بذكورة ولا بأنوثة ، يؤدون أوامر الله ويعبدونه ولا يعصونه .

وكتب الله : كتب أنزلها على رسله فيها أحكام وقوانين ، وأمرهم بتبليغها لأممهم ، فيها هداية للناس ؛ ومنها : التوراة والإنجيل والزبور والقرآن .

والرسل : أناس من البشر اختارهم الله واصطفاهم لتبليغ شرائعه لعباده .

واليوم الآخر : هو يوم يقوم الناس لرب العالمين فيجازيهم على أعمالهم .

والقدر : ما يقدره الله من القضاء في الأزل ويحكم به .

(١٠٧) البقرة : ٢٨٥ . لم يذكر اليوم الآخر هنا ولكن ذكر في آخر الآية : ﴿ وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ .

(١٠٨) رواه مسلم من غير ذكر (حلوه ومره) وقد تقدم الحديث بتمامه في تعليق بيان =

٢٣- ويجيء الإيمان في لسان الشرع أيضاً مردية لأعمال الظاهرة من الأقوال والأفعال المبنية على التصديق واليقين . حديث وفد عبد القيس (١٠٩) ، قال ابن عباس (١١٠) رضي الله عنهما :

أمرهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالإيمان بالله وحده وقال ﷺ : «هل تدرون ما الإيمان؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وأن تؤدوا خُمساً من المغنم» (١١١) رواه البخاري ومسلم .

٢٤- قد توارد لفظ الإسلام ولفظ الإيمان عسى اعتقاد القلب الجازم ،

= معنى الإسلام في ، حاشية درس رقم ١٨ .

(١٠٩) وفد عبد القيس . الوفد : الجماعة المختارة من أمة ترسل في مهمة إلى الملوك والأمراء والقادة والرؤساء، واحدهم وفد .

وفد عبد القيس هؤلاء تقدموا قبيل عبد قيس لمحبرة بني رسول الله ﷺ عام الفتح وقبل خروج النبي ﷺ إلى مكة . وكان أربعة عشر ركبة برئاسة سنان بن عائد بن الحارث وهو الأشج العصري ، سماه رسول الله ﷺ لأشج شجة كانت في وجهه . والنسبة إلى قبيلة عبد القيس كالنسبة إلى قبيلة عبد شمس : عبقسي وعيشمي وهم من لأسماء التي خالفت قواعد النسبة .

(١١٠) ابن عباس : هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب الهاشمي . نبوه العباس عم رسول الله ﷺ ، وابن عباس هذا هو ترجمان القرآن كان يقال له حبر والبحر . رأى جبريل مرتين ، ودعا له النبي ﷺ بالحكمة مرتين ، روى عنه : ابنه علي وأنس وأبو أمية بن سهل وأبو الشعثاء وأبو العالية وسعيد بن المسيب وعطاء وطاووس ومجاهد وخلق ، مات بانطاف سنة ثمان وستين وهو ابن إحدى وسبعين أو اثنتين وسبعين سنة .

(١١١) خ (٥٣) ، م (١٧) ، وغيرهما لم يذكر الحج لأنه لما يفرض إذ ذاك .

والمغنم : الغنيمة وهو ما يؤخذ من المحاربين عنوة ، أو هو المكسب عموماً ، والخمس بضم الميم وإسكانها وكذلك الثلث والرابع إلى العشر قال تعالى : ﴿واعملوا أنما غنمتم من شيء فإن لله خمسه﴾ .

والأعمال الظاهرة من قول وغيره ، المبنية على ذلك الاعتقاد ، لحديث جبريل المتقدم في تفسير الإسلام^(١١٢) ، وحديث وفد عبد القيس المتقدم في تفسير الإيمان^(١١٣) .

تحصيل مما تقدم

توارد الإسلام والإيمان على الاعتقاد والنطق والعمل :

٢٥- الدين كله عقدٌ بالقلب^(١١٤) ، ونُطقٌ باللسان ، وعملٌ بالجوارح^(١١٥) الظاهرة والباطنة^(١١٦) .

- وكل واحد من الثلاثة يسمى إيماناً باعتبار ، ويسمى إسلاماً باعتبار آخر .
- ١- فعقد القلب يسمى إيماناً لأنه تصديق ، ويسمى إسلاماً لأن عقد القلب على الشيء إذعان وخضوع له .
 - ٢- ونطق اللسان بالشهادتين يُسمى إيماناً لأنه دليل على التصديق ، ويسمى إسلاماً لأنه دليل على الخضوع والانقياد .

(١١٢) حيث فسر الإسلام بالأعمال الظاهرة المبنية على التصديق واليقين فقال : «الإسلام هو أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً» .

(١١٣) حيث فسر الإيمان كذلك بالشهادة والصلاة والزكاة والصوم وهكذا فسر النبي ﷺ الإسلام والإيمان بالاعتقاد الجازم والأعمال الظاهرة المبنية عليه .

(١١٤) عقد القلب اعتقاده وتصديقه وتدينه .

(١١٥) الجوارح من الإنسان : الأعضاء كاليد ونحوها التي يجترح بها الحسنات أو السيئات ، واجترح بمعنى : اكتسب أو ارتكب .

(١١٦) الجوارح الباطنة : هي القلب فقط ، وغلب الجمع إما للمشاكلة أو لأنه المتصرف في الجوارح كلها .

٣- والزكاة مثلاً تُسمى إيماناً لأنها مبنية على تصديق . وثمرة من ثمراته ، وتسمى إسلاماً لأنها انقياد وإذعان .

٤- والحب في الله مثلاً يسمى إيماناً لأنه مبني على تصديق وثمرة من ثمراته ، ويسمى إسلاماً لأنه انقياد وإذعان (١١٧) .

٢٦ - الإيمان في الوضع الشرعي (١١٨) هو قول باللسان وعمل (*) بالقلب وعمل بالجوارح . فمن استكمل ذلك استكمل الإيمان . ومن لم يستكمل لم يستكمل الإيمان . لقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ (١١٩) .

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا ﴾ (١٢٠) وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿ (١٢١) .
ولقوله صلى الله عليه وسلم :

« لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ (١٢٢) حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ (١٢٣) » رواه

(١١٧) ويقول ابن العربي : إن معنى الإسلام والإيمان واحد . لأن اسم معناه : طلب السلام ، وآمن معناه : طلب الأمان ، فالمعنى فيهما واحد . قال ذلك في ترححه على صحيح الترمذي (مناقب عمرو بن العاص) .

(*) بالأصل عمل بالقلب والأصح قوله تصديق بالقلب . انظر .

(١١٨) الوضع الشرعي : الاصطلاح الديني .

(١١٩) الأنفال : آية ٢ ، وجلت : خافت .

(١٢٠) لم يرتابوا : لم يشكوا في أمر دينهم .

(١٢١) الحجرات : ١٥ .

(١٢٢) يعني الإيمان التام لأن أصل الإيمان يثبت بما سوى ذلك من أنه يمكن متصفاً بهذا الوصف .

(١٢٣) المراد بالأخوة أخوة الدين ، قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ ومفهومه أن من الإيمان أيضاً أن يبغض لأخيه ما يبغض لنفسه .

الشيخان (١٢٤) عن أنس (١٢٥) .

ولقوله صلى الله عليه وآله وسلم : « لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ » (١٢٦) . رواه الشيخان عن أنس ، ولقوله صلى الله عليه وآله وسلم : « الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ ، أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً » (١٢٧) ، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَىٰ عَنِ الطَّرِيقِ ، وَالْحَيَاءُ » (١٢٨) شُعْبَةً مِنْ

(١٢٤) خ برقم (١٣) وم (٤٥) والشيخان : هما الإمامان البخاري ومسلم رحمهما الله ، وهما اللذان اتفقت كلمة لعلماء على أن أصح الكتب بعد القرآن العزيز كتاباهما : صحيح البخاري وصحيح مسلم اللذان تلقاهما المسلمون بالرضا والقبول .

(١٢٥) أنس : هو ابن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حزام الأنصاري التجاري أبو حمزة خادم رسول الله ﷺ روى عن النبي ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان ، وروى عنه أولاده وحفيده وخلائق لا يحصون ، خدم رسول الله ﷺ عشر سنين ودعا له النبي فقال : « اللَّهُمَّ أَكْثَرُ مَالِهِ وَوَلَدِهِ ، وَأَدْخَلْهُ الْجَنَّةَ » . مات سنة ثلاثة وتسعين . وهو آخر من مات من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين . [الحديث متفق عليه بدون وأدخله الجنة] الناشر .

(١٢٦) خ (١٥) ، م (٤٤) والمعنى : لا يكمل إيمان المسلم إلا بحب النبي حباً اختيارياً لا حباً فطرياً حيث يؤثره المسلم على والده وولده وأمه وأمهته ويقدمه على هواه وإن كان فيه هلاكه .
وحبه ﷺ يظهر في نصرته دينه وإحياء سنته والغيرة على ما يمس بكرامة شريعته فيضحي من أجل ذلك بالنفس والنفيس : ومن لم يكن كذلك فليس بمؤمن حقيقة ، وروى مسلم الحديث بتقديم الولد على الوالد .

(١٢٧) البَضْعُ والبِضْع بكسر الباء وفتحها : ما بين العقود من الثلاث إلى التسع ، يذكر مع المؤنث ويؤنث مع المذكر فتقول : بضع وعشرون شاة وبضعة وعشرون حصاناً .

والشعبة من الشجرة : الغصن المتفرع منها جمع شعب كغرفة وغرف . وهي من الشيء : الطائفة أو الناحية منه . وتقول : (هذه المسألة كثيرة الشعب والانشعاب) أي التفاريع . ولما كانت الشعبة هي الغصن في الأصل شبه الإيمان بشجرة ذات أغصان تؤتي أكلها كما شبه الإسلام بخيمة ذات عمد تقي من الحر والقر . في خبر : «بُني الإسلام على خمس ...»

(١٢٨) الإمَاطة : الإزالة والإبعاد ، والأذى والأذية : الضرر اليسير أو كل ما يؤدي من حجر أو مدر أو شوك أو نجاسة أو غير ذلك .

والحياء بالمد والقصر : الانقباض والانزواء من الشيء المستقبح خوفاً من الله أو من غيره وهو =

الإيمان»^(١٢٩) رواه الشيخان رحمهما الله عن أبي هريرة رضي الله عنه.

٢٧- الإيمان يزيد وينقص ، يزيد بزيادة الأعمال وينقص بنقصها^(١٣٠) .

لقوله تعالى :

﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾^(١٣١) .

ولقوله تعالى :

﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾^(١٣٢) .

ولقوله صلى الله عليه وآله وسلم : «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ»^(١٣٣) ،

فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ ، وَتِلْكَ أَوْعُفُ الْإِيمَانِ»^(١٣٤) .

= خلق حسن أو تخلق يكتسب بالمران والتعود كما يتعود الإنسان على بر و تقوى حتى يتخلق بهما .
وأبو هريرة هو عبد الرحمن بن صخر حافظ الصحابة . بن أحنف من روى الحديث في وقته ،
تقدمت ترجمته والشيخان هما البخاري ومسلم .

(١٢٩) خ (٩) ، م (٣٥) .

(١٣٠) المراد بالأعمال أعمال الخير ، يعني أن الإيمان يزيد بالطاعة مثلاً كما ينقص بالمعصية .

(١٣١) الأنفال (٢) . تليت : قرئت ، متى فهموها وعملوا بها .

(١٣٢) آل عمران (١٧٣) ، والمعنى : كذلك ينبغي أن يكون مؤمن مهما يخوف إلا ويزداد قوة
وشجاعة وثباتاً وإيماناً ، ويقدم ولا يحجم ويقول حسي لله ونعم بركي .

(١٣٣) هذا من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي تطبق على وجوبه الكتاب والسنة
وإجماع الأمة . فهو واجب على كل مسلم ومسلمة ، لإحقاق حق . وإزهاق الباطل . وتقديم
اليد على اللسان والقلب شرطاً دائماً وأبداً . والعقل الحكيم يتصرف في هذا التغيير وترتيبه بما
تقتضيه المصلحة .

(١٣٤) في رواية مسلم قال : أول من بدأ بالخطبة يوم العيد قبل الصلاة مروان فقام إليه رجل
فقال : الصلاة قبل الخطبة ، فقال : قد ترك ما هناك . فقال أبو سعيد : أما هذا فقد قضى ما عليه ،
سمعت رسول الله ﷺ يقول : «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ» ، حديث . =

رواه الشيخان عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه (١٣٥) .

٢٨- التصديق الذي هو الجزء الأصلي في الإيمان يقوى ويضعف (١٣٦) :
يقوى بالنظر في الآيات الكونية (١٣٧) ، والتدبر في الآيات السمعية (١٣٨) ،
والتقرب بالعبادات الشرعية ، ويضعف بضد ذلك .

لقوله تعالى : ﴿وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ (١٣٩) ، ولقوله تعالى : ﴿وَكَذَلِكَ
نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ (١٤٠) السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ (١٤١) .
ولحديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم : « مَنْ نَفَسَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً

= وقال النووي : جاء في الحديث الذي اتفق عليه البخاري ومسلم رضي الله عنهما على إخرجه
في باب صلاة العيد : أن أبا سعيد هو الذي جذب بيده مروان حين رآه يصعد المنبر وكانا جاءا
معاً فرد عليه مروان بمثل ما رد هنا على الرجل ، فيحتمل أنهما قضيتان إحداهما لأبي سعيد
والأخرى للرجل بحضرة أبي سعيد والله أعلم .

(١٣٥) تقدمت ترجمة أبي سعيد الخدري في الدرس رقم ٢١ بالحاشية . والحديث لم يروه
البخاري وإنما رواه مسلم (٤٩) وأبو داود (١١٤٠) وغيرهما .

(١٣٦) فالتصديق كالليذرة والإيمان كالشجرة .

(١٣٧) الآيات الكونية هي : العلامات والمعجزات الموجودة في الكون من سموات وأرضين
ومن بحار وأنهار وجبال وأشجار ، وحيوان وإنسان ، وغيرها من مخلوقات الله البديعة الصنع .

(١٣٨) الآيات السمعية هي : الحجج والبراهين القطعية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية .

(١٣٩) البقرة (٢٦٠) ، ومعنى : ليطمئن قلبي أي ليسكن ويهدأ ، والضمير لسيدنا إبراهيم

الخليل عليه السلام قال : ﴿رَبِّ أَرْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوْ لَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ

لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ ومحل الشهادة هو النظر لتقوية الإيمان . وسيدنا إبراهيم مؤمن ومصديق بإحياء

الله الموتى ولكن أراد أن يشهد ذلك بعينه ، لأن النظر أقوى وأصدق برهاناً من السمع ، ومن

سمع شيئاً ويمكنه أن يراه لا شك أن يبقى متشوقاً لرؤيته ، فإذا شاهده بعينه اطمأن له قلبه وآمن

به ، فلا يطلب بعد ذلك البيان بياناً (وما رآه كمن سمعاً)

(١٤٠) الملوك : الملك والعز والسلطان . (١٤١) الأنعام : ٧٥ .

مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ يَسْرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسِّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ،
وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ
فِي عَوْنِ أَخِيهِ ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ
وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارِسُونَهُ فِيمَا بَيْنَهُمْ
إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ (١٤٢) ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ
فِيمَنْ عِنْدَهُ ، وَمَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرَعْ بِهِ نَسَبُهُ (١٤٣) . رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١٤٤) .

ولحديث حنظلة (١٤٥) الأسيدي رضي الله تعالى عنه - وكان من كتّاب
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « لَقِيتُ أَبُوبَكْرٍ (١٤٦) فَقَالَ : كَيْفَ
أَنْتَ يَا حَنْظَلَةُ ؟ قَالَ : قُلْتُ نَافِقَ حَنْظَلَةَ ! قَالَ : سُبْحَانَ اللَّهِ مَا تَقُولُ !؟ »

(١٤٢) نفَسَ عنه الكربة : خَفَّفَهَا وَلَطَّفَهَا أَوْ فَرَّجَهَا عَنْهُ . وَكَرَبَ : حَزَنَ وَالْمَشَقَّةُ ، وَجَمَعَهَا
كَرْبٌ كَغُرْفَةٍ وَغُرْفٌ ، وَمِثْلُهَا الْكَرْبُ جَمْعُ كَرْوَبٍ كَفَسَرٍ وَمِوَسٍ . وَأَصْلُ التَّنْفِيسِ : فَكَّ
الْحَنَاقَ لِيَأْخُذَ الْمَخْنُوقَ نَفْسَهُ ، وَمِنْ الْهَمُومِ وَالْكَرُوبِ مَا يَسُدُّ عَلَى نَفْسِهِ مَجَارِيَ التَّنْفِيسِ ،
وَالسَّكِينَةُ : الطَّمَأْنِينَةُ وَالْوَقَارُ . وَغَشِيَتْهُمْ بِمَعْنَى غَطَّتْهُمْ وَأُحْصَتْ بِهِمْ . وَحَفَّتْهُمْ : أَحْدَقَتْ بِهِمْ
وَاسْتَدَارَتْ .

(١٤٣) الذين هم عند الله : هم ملائكته الكرام المقربون وعدية من تستشرف ، أذكر أن
أستاذنا ابن باديس رحمه الله قال لنا في آخر هذا الحديث (من أبطأ به عمله الخ) : هذه حكمة
بالغة ينبغي أن تكتب فوق القطر الجزائري بحروف كبيرة في كل مكان نراها كل جزائري
فيعمل بها ويدع التواكل ، لأن شرف الإنسان بعمله لا بنسبه أو بحسبه . . . وأبطأ فعل من البطء
ضد الإسراع أي من أخره عمله لم يلحقه شرف نسبه .

(١٤٤) برقم (٢٦٩٩) .

(١٤٥) حنظلة الأسيدي : صحابي جليل من كتّاب الوحي فيه تقوى وخشية وورع .

(١٤٦) أبو بكر : هو الخليفة الأول والصحابي الجليل ، وأصدق رفيق لرسول الله ﷺ في
الهجرة وفي مراحل حياته النبوية ، وأول من أسلم من المشركين . وأحد مبشرين بالجنة ، ومناقبه
أجل وأعظم من أن تحصر ، وهو أبو عبد الله بن أبي قحافة . رضي الله عنه وأرضاه .

قَالَ : قُلْتُ : نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حَتَّى كَأَنَّا رَأَيْ عَيْنٍ ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ (١٤٧) فَنَسِينَا كَثِيرًا .

قَالَ أَبُو بَكْرٍ : فَوَاللَّهِ إِنَّا لَنَلْقَى مِثْلَ هَذَا !
فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، قُلْتُ : نَافِقَ حَنْظَلَةَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : « وَمَا ذَاكَ ؟ » قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ : نَكُونُ عِنْدَكَ تُذَكِّرُنَا بِالْجَنَّةِ وَالنَّارِ حَتَّى كَأَنَّا رَأَيْ عَيْنٍ فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ ، فَنَسِينَا كَثِيرًا .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ! إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي فِي الذِّكْرِ ، لَصَافَحْتُكُمْ الْمَلَائِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ » (١٤٨) ، وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ : سَاعَةٌ وَسَاعَةٌ ، سَاعَةٌ وَسَاعَةٌ ، سَاعَةٌ وَسَاعَةٌ (١٤٩) » رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١٥٠) .

(١٤٧) كيف أنت : أي قال له ذلك بعد تحية الإسلام المعروفة . نافع : يعني ستر كفه في قلبه ، وأظهر الإيمان بلسانه ، والمنافق ذو الوجهين ، وهو غير وجهه عند الله والناس .
ورأي عين : مثلما يراه الإنسان بعينه . ويقال : هو مني بمرأى ومسمع : أي بحيث أسمع وأراه .
وعافسنا : عالجنا وخالطنا واشتغلنا . والضيعات : الحرف والصناعات . يقال : كانت ضيعة العرب سياسية الإبل .

(١٤٨) لما عليه المؤمن من الصلاح والطهر والشفافية بالتقوى والإيمان والعمل الصالح .
(١٤٩) ساعة وساعة : يريد الرسول ﷺ أن يؤكد أن الإسلام يتمشى مع النفس البشرية وطبيعتها ، فهو لم يطلب من البشر أن يكونوا ملائكة ، ولا يريد لهم أن ينحطوا حتى يكونوا كالدواب . وإنما يريد بشرية فاضلة ، وإنسانية رشيدة ، وقد كان النبي ﷺ يستمتع بطيبات الدنيا في حق واعتدال ، ويمزج ولا يقول إلا حقاً . فساعة للعمل ، وساعة للعبادة وساعة للراحة ، وساعة للدنيا ، وهذا من مميزات الإسلام بين الأديان . (١٥٠) برقم (٢٧٥٠) .

٢٩- مَنْ عُدِمَ مِنْ إِيْمَانِهِ الْيَقِيْنُ خَرَجَ مِنْ دَرَجَةِ مُؤْمِنٍ (١٥١) ، وَكَانَ مِنْ جَمَلَةِ الْكَافِرِيْنَ ، وَلَوْ نَطَقَ بِالشَّهَادَتِيْنَ ، وَعَمِلَ عَمَلُ مُؤْمِنٍ . لَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللّٰهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ (١٥٢) وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا * أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْدَانَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ (١٥٣) . وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قُلْ لَا تَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ (١٥٤) وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ كَاذِبُونَ﴾ .

٣٠- مَنْ عُدِمَ مِنْهُ النُّطْقُ إِبَآيَةً وَعِنَادًا (١٥٥) لَمْ يَكُنْ مِنْ مُؤْمِنِيْنَ ، وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِيْنَ .

لَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَضَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ (١٥٦) .

(١٥١) لِأَنَّ الْيَقِيْنَ شَرْطٌ فِي الْإِيْمَانِ .

(١٥٢) النِّسَاءُ : ١٣٦ ، وَالْمَعْنَى ضَلَّ عَنْ الدِّيْنِ وَعَنِ الطَّرِيقِ ، بِمَعْنَى حَذْوِهِ يَجْتَدِ .

(١٥٣) النِّسَاءُ : ١٥٠ - ١٥١ .

(١٥٤) تَشْهَدُ : أَيُّ نَعْلَنَ بِأَنَّ اعْتِقَادَنَا مُوَافِقٌ لِكَلَامِنَا ، وَهَذَا كَلَامُ مَنِيْمٍ صَرَحَ لِأَنَّهُمْ - لَعْنَهُمُ اللَّهُ - لَا يَعْتَقِدُونَ صِدْقَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَالشَّهَادَةَ تَسْتَدْعِي مُوَافَقَةَ عَقْدِ قَلْبٍ لَّمَّا يَنْطَبِقُ بِهِ اللِّسَانُ وَإِذَا كَانَتِ الشَّهَادَةُ هُنَا بِمَعْنَى الْيَمِيْنِ ، فَهِيَ خَائِنَةٌ فَصَعْدَتْ عَنْهُمْ لَا يَصْدُقُونَ بِرِسَالَتِهِ وَلَا يَعْتَقِدُونَ صِدْقَهُ ﷺ ، وَإِنَّمَا حَمَلَهُمْ عَلَى ذَلِكَ كُلِّهِ حَمِيَّةُ أَنْفُسِهِمْ وَمُؤْمِنِهِمْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ وَأَصْحَابِهِ . وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى مِنْ بَعْدِ : ﴿اتَّخِذُوا أِيْمَانَهُمْ جُنَّةً﴾ أَيُّ وَقِيَّةً وَلَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ السُّورَةُ فَضَحَتْهُمْ شَرُّ فَضِيْحَةٍ ، وَبَاؤُوا بِغَضَبِ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَمُؤْمِنِيْهِ . وَحَقُّ لِهَذِهِ السُّورَةِ أَنْ تُدْعَى الْفَاضِحَةُ أَيْضًا .

(١٥٥) إِبَآيَةً : عَدَمُ رِضَى وَامْتِنَاعًا - وَالْعِنَادُ : الْمَكَابَرَةُ وَالْمُعَارَضَةُ بِالنَّضْدِ بِدُونِ حَقٍّ .

(١٥٦) النَّمْلُ : ١٤ . ظُلْمًا وَعُلُوًّا : تَجَاوَزًا وَعُلُوًّا فِي الْكُفْرِ وَالْعِنَادِ . وَتَضَمِيرُ فِيْهَا لِآيَاتِ اللَّهِ الَّتِي جَاءَتْهُمْ مُبْصَرَةً فَجَحَدُوا بِهَا .

٣١- من لم يخضع قلبه لما عرفه من عقائد الإسلام لم تفده تلك المعرفة ، ولم يكن بها من المسلمين (١٥٧) .

لقوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ﴾ (١٥٨) وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿ (١٥٩) .

٣٢- من ضيع الأعمال لم يخرج من دائرة الإيمان .

لقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا ﴾ (١٦٠) .
ولحديث أبي بكره رضي الله تعالى عنه ، قال : سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم يقولُ : « إِذَا التَّقَى الْمُسْلِمَانِ بِسَيَفِيهِمَا فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ » ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا الْقَاتِلُ . فَمَا بَالُ الْمَقْتُولِ ؟ قَالَ : « إِنَّهُ كَانَ حَرِيصًا عَلَى قَتْلِ صَاحِبِهِ » (١٦١) . رواه مسلم .

٣٣- من ارتكب المعاصي سُمِّيَ فاسقاً (١٦٢) حتى يتوب .

(١٥٧) لأن المعرفة دون الإدعان القلبي والخضوع لا تفيد شيئاً .
(١٥٨) الذين آتاهم الله الكتاب مبيناً قبلنا : هم اليهود والنصارى ، وهم يعرفون النبي محمداً ﷺ غاية المعرفة لأنه موصوف في كتبهم .

(١٥٩) البقرة : ١٤٦ . (١٦٠) الحجرات : ٩ .

(١٦١) م (٢٨٨٨) فالمقتول يستحق النار لأنه كان حريصاً على قتل صاحبه . وما بال : ما حال وما شأن أو ما ذنب ؟ ما أكثر التقاتل بين المسلمين وما أقل المصلحين فاللهم لطفك .

وأبو بكره هو نقيع (بالتصغير) بن الحارث بن كلدة (بفتح الكاف واللام والdal) الثففي ، كُني بأبي بكره لأنه كان أسلم في حصن بالطائف وعجز عن الخروج منه . فتدلى في النزول إلى رسول الله ﷺ منه ببكرة ، روي له عن رسول الله ١٣٣ حديثاً ، وكان ممن اعتزل يوم الجمل عن الفريقين . توفي بالبصرة سنة إحدى وخمسين من الهجرة ، رضي الله عنه وأرضاه .
[الحديث رواه البخاري (٣١) أيضاً وغيره] الناصر .

(١٦٢) أي مؤمناً عاصياً ، والفسق في اللغة هو الخروج ، فالفاسق هو الخارج عن الطاعة وعن الدين . حتى يتوب : أي يرجع بلسانه ، ويقلع بجنانه ، ويتلطف في التحلل من المظالم ، ويعزم على عدم العودة إلى الذنب :

لَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ بَشِّرِ الَّذِينَ يَتَّقُونَ وَآمَنُوا بِآيَاتِنَا أَنْ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ (١٦٣) ، وَلَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ (١٦٤) ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (١٦٥) .

* * *

(١٦٣) الحجرات : ١١ .

(١٦٤) المحصنات : المتزوجات العفيفات عن المعاصي . وكذا - رجلان والأزواج لا فرق بين الأمرين . والمراد بالرمي : الرمي بالزنا بدليل السياق .

(١٦٥) النور : ٤ - ٥ .

بيان معنى الإحسان

٣٤ - الإحسان في اللغة : الإتيان بما هو حسن ، والإحسان في الشرع : هو الإتيان بالحسنات. والحسنات : هي فعل الواجبات والمستحبات وترك المحرمات والمكروهات ، وفعل أو ترك المباحات لأنها مباحات (١٦٦) ، مع التصديق بذلك لله تعالى والإخلاص له فيه ، ومع استحضار رؤية الله تعالى له وإطلاعه على ظاهره وباطنه .

لقوله تعالى : ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ (١٦٧) ، وقوله تعالى ﴿ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (١٦٨) . وقوله تعالى :

(١٦٦) الأحكام التكليفية الخمسة هي :

- الواجب والفرض وهو طلب الفعل على سبيل التحريم .
 - المستحب أو المندوب هو طلب الفعل على سبيل الترجيح .
 - الحرام أو الحظر هو طلب الترك على سبيل التحريم .
 - المكروه هو طلب الترك على سبيل الترجيح .
 - المباح هو الإذن في الفعل والترك بلا إثم فيهما ولا ثواب .
- (١٦٧) الكهف : ١١٠ . (١٦٨) البقرة : ١١٢ .

﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (١٦٩).

ولقوله عليه الصلاة والسلام في حديث جبريل عليه السلام ، لما فسر له النبي صلى الله عليه وآله وسلم الإحسان ، قال : «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ» (١٧٠) رواه البخاري ومسلم .

* * *

(١٦٩) يوسف : ٩٠ .

(١٧٠) هذا من جوامع الكلم التي حُصِّ بها رسول الله ﷺ وقد تقدم الحديث بتمامه في حاشية رقم (١٨) وحقيقة ، فلو قدرنا أن أحدنا قام في عبادته وهو يعاين الله عز وجل لم يترك شيئاً مما يقدر عليه من الخضوع والخشوع وحسن السمات واجتماعه بظاهره وباطنه على الاعتناء بتتبعها على أحسن وجوهها إلا أتى به ، وهذا هو إحسان العبادة .

عقائد الإيمان

عقيدة الإيمان بالله :

٣٥- هو الموجود الحق لذاته ، الذي لا يقبل وجوده العدم ، فهو القديم الذي لا بداية لوجوده ، وهو الباقي الذي لا نهاية لوجوده .

لقوله تعالى : ﴿ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ (١٧١)؟

ولقوله تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ ﴾ (١٧٢) تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ * وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَاراً وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ

(١٧١) إبراهيم : ١٠ . والمعنى : أنه لا ينبغي أن يشك في وجود الله ، فإنه خلق كل شيء ، وأظهره وبينه ، فمن شك في وجوده تعالى ، فلا ثقة عنده حتى في الأمور المحسوسة . وفاطر السموات والأرض خالقهما ومبدعهما لا على مثال سابق .

(١٧٢) بغير عمد : بغير أعمدة وأساطين ترفعها ، وهذا من بالغ القدرة الإلهية .
والاستواء : استواء يليق بكماله وجلاله ، وليس كاستواء الخلق الذي معناه التمكن .
والعرش : مخلوق عظيم لله تعالى وهو أعلى المخلوقات وأولها ، وهو سرير الملك : قال تعالى : ﴿ أَهَكَذَا عَرْشُكَ ﴾ ؟ ، ﴿ وَرَفَعَ أَبْوِيهَ عَلَى الْعَرْشِ ﴾ .
والرواسي : الجبال الثابتة الشوامخ الرواسخ . وثم لعطف الجمل لا غير ، وليست للترتيب .

وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفُضْلٌ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٧٣﴾ ،
ولقوله تعالى : ﴿رَبَّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ (١٧٤) ، ولقوله
تعالى : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١٧٥) .

وقوله تعالى : ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ * أَمْ خُلِقُوا
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ * أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ
الْمُسَيِّطِرُونَ﴾ (١٧٦) ؟ وقوله تعالى : ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ
وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (١٧٧) .

٣٦ - وهو الموجود الذي سبق وجوده كل وجود . فكان تعالى وحده ولا
شيء معه ، ثم خلق ما شاء من مخلوقاته .

لقوله تعالى : ﴿هُوَ الْأَوَّلُ﴾ ، ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ (١٧٨) ،

(١٧٣) الرعد : ٢ - ٤ ، زوجين اثنين : صنفين اثنين كالأبيض والأسود . وخلقوا المر ، والذكورة
والأنوثة . الخ

وصنوان : نابتة من أصل واحد ، وغير صنوان : خارجة من أصول مختلفة . ومع تجاور الأرض ،
واتحاد المنبت والوقت ، والسقي بماء واحد ... اختلفت الثمرات ولأزهر والحضار والحبوب في
طعمها وحجمها ولونها وشكلها ، فتبارك الله أحسن الخالقين .
ويغشي الليل النهار : يجعل الليل لباساً للنهار . والأكل بضم همزة : سم لما يؤكل ، ويفتحها :
مصدر أكل يأكلها .

(١٧٤) طه : ٥٠ ، خلقه سواء وجمّله ، وهداه إلى ما فيه النصححة . ولرب : هو الله الخالق
المربي للمخلوقات جميعها .

(١٧٦) الطور : ٣٥ - ٣٧ ، المسيطرون : الغالبون - والمعنى أم هم الغالبون على الأشياء يديرونها
على حسب أهوائهم ؟ والجواب : لا .

(١٧٧) الحديد : ٣ .

(١٧٨) الفرقان : ٥٩ .

﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقْدَرَهُ تَقْدِيرًا﴾ (١٧٩) ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ (١٨٠) ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴿١٨١﴾، ﴿قُلْ أَنْتُمْ لَكُمْ تَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ * وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلْسَّائِلِينَ * ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ * فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾ (١٨٢) وَزَيْنَا السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِمَصَاصِيحَ وَحِفْظًا (١٨٣) ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١٨٤﴾.

(١٧٩) الفرقان: ٢.

(١٨٠) ستة أيام ليست الأيام كأياما . بل علمها عند ربي . (١٨١) الحديد : ٤ .

(١٨٢) الند هو الشبيه أو النظير ، فقال تعالى : ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ . وقال لبيد : الحمد لله فلا ند له . بيديه الخير ما شاء فعل .

والرواسي : الجبال الثوابت . وبارك فيها : زاد في خيراتها التي منها الحيوانات والنباتات والمعادن . أقواتها : أرزاق أهلها .

واستوى : عمد وقصد ، ودخان : قيل إنه أصل مادة الأرض . وقال علماء الطبيعة اليوم : إن مادة السماء كالدخان ، وغاية ما وصلوا إليه بظنهم إذن ، هو ما جاء به النبي الأمي الذي كفر به المعاندون الجاحدون . اثتيا طوعاً أو كرهاً أي شتتاً أو أبيتاً : وهذا تمثيل لإطاعة السموات والأرض مع عظم جرمهما ، وابن آدم يعصي على ضعفه !!

فقضاهن : أي خلقهن وأتقنهن في يومين فتم بذلك خلق السموات والأرض في ستة أيام : يومين لخلق الأرض ، ويومين لجعل الرواسي وتقدير الأرواح والأقوات ، ويومين للسموات السبع ، وليست الأيام كالتالي نعرف ، فعلمها عند الله : ونحن نعلم اليوم أن كل كوكب بحسبه . قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ : يحتمل لسان الحال والمقال . وأوحى : كَوْنٌ وَدِير .

(١٨٣) المصاييح : الكواكب والنجوم التي تضيء ليلاً وترشد السائرين .. وهي تحفظ وحي الله من استراق الشياطين للسمع ، وإبلاغه الكهان كما كان سائراً قبل مبعث الرسول ﷺ ، فمُنعت الشياطين من استراق السمع : ﴿إِلَّا مَنْ خُطِفَ الْخُطْفَةُ فَاتَّبَعَهُ شَهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ وهذا مما حبا الله به نبينا . فحفظاً مفعول مطلق : أي وحفظناها حفظاً . (١٨٤) فُصِّلَتْ : ٩ - ١٢ .

٣٧ - فهو الغني بذاته عن جميع الموجودات^(١٨٥) وهي المفتقرة كلها ابتداء ودواماً إليه.

لقوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ* إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ* وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾^(١٨٦)، ﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً﴾^(١٨٧)؟ ، ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمْ مَنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾^(١٨٨) . ﴿أَغَيْرَ اللَّهِ اتَّخَذُ وَلِيّاً فَأَطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾^(١٨٩).

(١٨٥) أي أن كماله سبحانه وغناه من ذاته لا من غيره .

(١٨٦) فاطر : ١٥-١٧ .

(١٨٧) المائدة : ١٧ . وهذا رد على الذين قالوا: إن الله هو المسيح بن مريم .

(١٨٨) يونس : ٣١ ، يخرج الحي من الميت: كخروج الإنسان من النطفة، والدجاجة من البيضة ويخرج الميت من الحي عكس ذلك كخروج البيضة من الدجاجة والنطفة من الإنسان وغير ذلك .
وأني تصرفون : كيف تتوجهون من الحق إلى الضلال ؟ .

(١٨٩) الأنعام : ١٤ .

(١٩٠) روينا البيتين عن أستاذنا الإمام وقت الدرس ولا ندرهما من ؟ وهما :

فنحن معشر فريق السنة السالكين في ضريق الجنة

نقول بالاثبات والتنزيه من غير تعطيل ولا تشبيه

وزاد عليهما معلقاً فقال : **المعطلون** : هم الذين ينفون الصفات الإلهية، و**المشبهون** : هم الذين يشبهونها بصفات المخلوقات وكلاهما على ضلال، أما **السنن** : فهم الذين يشبهونها له تعالى ، وينزهونها عن التشبيه بالمخلوقات. و**التعطيل** : تعطيل اللفظ عن دلالة معناه الحقيقي أو الخروج =

عقيدة الإثبات والتنزيه : (١٩٠) .

٣٨- ثبت له ما أثبتته لنفسه ، على لسان رسوله ، من ذاته ، وصفاته ، وأسمائه ، وأفعاله . وننتهي عند ذلك ولا نزيد عليه ، وننزهه في ذلك عن مماثلة أو مشابهة شيء من مخلوقاته .

ونثبت الاستواء والنزول ونحوهما ، ونؤمن بحقيقتهما على ما يليق به تعالى بلا كيف (١٩١) ، وبأن ظاهرها المتعارف في حقنا غير مراد .

لقوله تعالى : ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ﴾ (١٩٢) ، ﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾ (١٩٣) .

ولحديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ عَشْرَةَ مِنْهُمْ : خَيْبُ الْأَنْصَارِيِّ(*) ، فَلَمَّا خَرَجُوا مِنَ الْحَرَمِ لِيَقْتُلُوهُ قَالَ :

= به إلى معنى آخر . والتشبيه تشبيه الله بمخلوقاته ؛ فنحن نثبت لله ما أثبتته الله لنفسه من أقوال أو أفعال أو صفات ، ولا تشبيهه في شيء من ذلك بالمخلوقات ، ولا غرابة في إثبات شيء مع عدم تكييفه ، فالإنسان يثبت أن بين جنبيه نفساً ولكن لا يستطيع تكييفها كذلك تثبت صفات الله بلا كيف .

ملحوظة : قوله : (ونثبت الاستواء والنزول إلى قوله غير مراد) كان في الأصل بعد صفة الكلام رقم (٤٦) ومن غير استشهاد عليه بالآيات والأحاديث فرأيت إثباته هنا تحت هذا العنوان ؛ ثم تأتي بقية الصفات كما رتبها الأستاذ الإمام مستدلاً عليها بالآيات والأحاديث . وأرجو ألا يكون هذا من التحكم وسوء التصرف .

(١٩١) بلا كيف : أي بلا هيئة محدودة لأنه تعالى ليس كمثله شيء فنثبت الاستواء الوارد في قوله تعالى : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ ، والنزول في حديث : «إِنَّ اللَّهَ يَنْزِلُ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا آخِرَ اللَّيْلِ وَيَقُولُ : هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَاَجِيبُ لَهُ » [الحديث متفق عليه بلفظ من يدعوني فأستجيب له البخاري (١١٤٥) مسلم (٧٥٨)] والجمي ونحوه مثل : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ ﴾ ، ﴿ وَلَتَصْنَعَنَّ عَلَيَّ عَيْنِي ﴾ ، ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾ إلخ ..

(١٩٢) آل عمران : ٢٨ . ويحذركم الله نفسه : أي ذاته فخافوه واخشوه ، بل قدموا خشيته على خشية الناس فهو الآخذ بالنواصي ، والمجازي يوم القيامة .

(١٩٣) المائدة : ١١٦ . (*) أي ثم غدر بهم المشركون من بني لحيان وأسلموهم إلى قريش (الناشر)

وَلَسْتُ أَبَالِي حِينَ أُقْتَلُ مُسْلِمًا عَلَى أَيِّ جَنْبٍ كَانَ فِي اللَّهِ مَصْرَعِي
وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الْإِلَهِ وَإِنْ يَشَاءُ يُبَارِكْ عَلَى وَصَالِ شِلْوٍ مُمَزَّعٍ (١٩٤)
فَلَمَّا قُتِلَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ أَخْبَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَصْحَابَهُ خَبَرَهُمْ
يَوْمَ أُصَيَّبُوا (١٩٥). رواه البخاري (١٩٦).

ولقوله تعالى: ﴿قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ
الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ (١٩٧)، ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ (١٩٨)،
﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى * وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى * وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى * فَجَعَلَهُ
غَنَاءً أَحْوَى﴾ (١٩٩)، ﴿فَعَالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾ (٢٠٠)، ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا

(١٩٤) أوصال شلوا ممزع: أجزاء جسد مقطوع، والأوصال جمع وصل، كل عضو على
حدة. والشلو والشلاء هو الجسد من كل شيء. وانمزح بفرق موزع
رُوي أن خبيبا قبل أن ينشد هذين البيتين طلب منهم أن يسعوه يصي فتركوه، فصلى ركعتين
ثم قال: اللهم احصهم عدداً، واقتلهم بديداً، ولا تُبق منهم أحداً. ثم قال البيتين رضي الله
عنه، وهو أول من سن هذه الصلاة فله أجرها وأجر من عمل به في يوم القيامة.
وخبيب الأنصاري (رضي الله عنه) هو خبيب بن عدي بن ميث الأنصاري الأوسي شهد
بدرًا، واستشهد في هذه الحادثة التي وقعت له في غزوة ربيع. في صفر سنة أربع للهجرة
والرجيع: اسم موضع من بلاد هذيل بين عسفان ومكة. فرجعوا به إليه ليعبدوا عن الحرم
ويقتلوه في الحل.

(١٩٥) ومحل الشاهد من هذا هو قوله: في ذات الإله. (١٩٦) برقم (٤٠٨٦).
(١٩٧) الإسراء: ١١٠. الأسماء الحسنى: الصفات الكريمة. وأي مم من أسمائه الحسنى حسن فلا
ينهي عن الدعاء بأبيها.

(١٩٨) الأعراف: ١٨٠.
(١٩٩) الأعلى: ٢ - ٥. الغناء: ما يلقيه السيل من النقش والورق والعشب واليابس الميت.
والأحوى: الأسود، والحوة سواد في خضرة أو في حمرة أو في أي لون داكن. ومعنى
الغناء الأحوى الشيء النافه لا وزن له ولا قيمة، فاسود من قدمه وإهماله واحتراقه.
(٢٠٠) البروج: ١٦.

يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ * فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ (٢٠١) إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٠٢﴾، ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ (٢٠٣) بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٢٠٤)، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (٢٠٥).

٣٩- ولا تحيط العقول بذاته ولا بصفاته ولا بأسمائه .

لقوله تعالى : ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ (٢٠٦).
ولقوله صلى الله عليه وآله وسلم : «لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ» (٢٠٧)، ولقوله صلى الله عليه وآله وسلم في دعاء الكرب (٢٠٨) :
«اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ وَابْنُ عَبْدِكَ وَابْنُ أَمَتِكَ ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ مَاضٍ فِي حُكْمِكَ عَدْلٌ فِي قَضَائِكَ ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمِيَتْ بِهِ نَفْسُكَ أَوْ أُنْزِلَتْهُ فِي كِتَابِكَ أَوْ

(٢٠١) لا تتلود بالسلطان ونحوه فليس كمثله شيء .

(٢٠٢) النمل : ٧٣ - ٧٤ .

(٢٠٣) الضمير في يأمركم للشيطان . والسوء : الشر والفساد الذي يسوء صاحبه ويشمل جميع المعاصي . والفحش ما تناهى قبحه من الذنوب والآثام كالفسق والسكر وأنواع الموبقات والتقول على الله بغير علم : كالكذب على الله ، والتكلم في شرعه ووصفه بما لم يرد في كتابه أو على لسان نبيه . وهكذا يتدرج الشيطان مع الإنسان من الأدنى كالسوء والفحشاء إلى الأعلى كالكفر والكذب على الله وهو أدهى وأمر .

(٢٠٤) البقرة : ١٦٩ . (٢٠٥) الشورى : ١١ .

(٢٠٦) البقرة : ٢٥٥ .

(٢٠٧) مسلم (٤٨٦) وغيره عن عائشة - رضي الله عنهما .

(٢٠٨) الكرب الحزن والمشقة والهم . الناصية : شعر مقدم الرأس . ماض : نافذ . استأثرت به : انفردت به وتخصصت . الغيب ما غاب عن الخواس ولا يمكن التوصل إليه بالنظر (أو) في الجميع بمعنى الواو .

عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قُلُوبِي وَنُورَ صَدْرِي وَجَلَاءَ حُزْنِي وَزَهَابَ هَمِّي وَعَمِّي، (٢٠٩).

٤٠- فمن صفاته تعالى : الحياة .

لقوله تعالى : ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ (٢١٠). وقوله تعالى : ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾ (٢١١)، ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ (٢١٢).

٤١- ومن صفاته تعالى : القدرة (٢١٣) على إيجاد كل ممكن وإعدامه .

لقوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٢١٤)، ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا﴾ (٢١٥)، ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ (٢١٦).

٤٢- ومن صفاته تعالى : الإرادة (٢١٧) والمشية المنطقية في جميع الممكنات

فيخصص ما شاء بما شاء .

لقوله تعالى : ﴿فَعَالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ (٢١٨).

(٢٠٩) إسناده صحيح. وهو في مجمع الزوائد (١٣٦: ١٠) ونسبه لأحمد وأبي يعلى والبخاري. ورواه الحاكم... وللشيخ أحمد شاكر كلام نفيس. نظره في تعليقه على الحديث رقم ٣٧١٢ من مسند الإمام أحمد.

(٢١٠) البقرة: ٢٥٥.

(٢١١) طه: ١١١، عن الوجوه: ذلت وخضعت واستكانت .

(٢١٢) الفرقان: ٥٨ .

(٢١٣) صفة القدرة هذه صفة تأثير .

(٢١٤) البقرة: ١٠٩ .

(٢١٥) الكهف: ٤٥ .

(٢١٦) فاطر: ٤٤ .

(٢١٧) وهذه صفة تخصيص .

(٢١٨) الإنسان: ٣٠ .

٤٣- ومن صفاته تعالى : العلم ^(٢١٩) الذي تنكشف له جميع المعلومات ، من الواجبات والجائزات والمستحيلات ، فيعلمها على ما هي عليه من الحالات ؛ وتستوي عنده الجليات والخفيات .

لقوله تعالى : ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ ^(٢٢٠) ، ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ ^(٢٢١) ، ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ ^(٢٢٢) .

٤٤- ومن صفاته تعالى : السمع الذي تنكشف به جميع المسموعات .

٤٥- ومن صفاته تعالى : البصر تنكشف به جميع المبصرات ^(٢٢٣) .

لقوله تعالى : ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ ^(٢٢٤) ، ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ﴾ ^(٢٢٥) .

ولحديث أبي موسى الأشعري ^(٢٢٦) رضي الله عنه قال : « كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ ، فَكُنَّا إِذَا عَلَوْنَا كَبَّرْنَا ، فَقَالَ : «ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ ، فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ اصَمَّ وَلَا غَائِبًا ، تَدْعُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا قَرِيبًا» ^(٢٢٧) . رواه البخاري .

(٢١٩) وهذه صفة انكشاف . (٢٢٠) الأحزاب : ٤٠ .

(٢٢١) الملك : ١٤ . (٢٢٢) إبراهيم : ٣٨ .

(٢٢٣) صفتا السمع والبصر صفتا انكشاف أيضاً .

(٢٢٤) النساء : ١٣٤ . (٢٢٥) المجادلة : ١ .

(٢٢٦) أبو موسى الأشعري : صحابي جليل ورع . روى الحديث عن النبي عليه الصلاة والسلام وكان أحد الحكمين في نزاع علي ومعاوية رضي الله عنهما .

(٢٢٧) متفق عليه خ (٧٣٨٦) ومسلم (٢٧٠٤) وغيرهما ، علونا : ارتفعنا أي على ربوة أو غيرها . اربعوا : أشفقوا وخففوا على أنفسكم .

٤٦- ومن صفاته تعالى : الكلام الذي يدل على جميع نعومات .

لقوله تعالى : ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ .

٤٧- وهو الواحد في ذاته ، وصفاته ، وأفعاله (٢٢٨) :

فلا ثاني له ، ولا نظير له ، ولا شريك له في ذاته .

ولا ثاني له ، ولا نظير له ، ولا شريك له في أسمائه .

ولا ثاني له ، ولا نظير له ، ولا شريك له في صفاته .

ولا ثاني له ، ولا نظير له ، ولا شريك له في أفعاله .

لقوله تعالى : ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (٢٢٩) ، ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (٢٣٠) .
﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ﴾ (٢٣١) ، ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ (٢٣٢) . ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ (٢٣٣) ، ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ (٢٣٤) .

(٢٢٨) الوجدانية : صفة دلالة .

(٢٢٩) الأنبياء (٢٢) ، الآلهة : جمع إله وهو المعبود مطلقاً . والله هو إله معبود بحق . والضمير في فسدنا للسموات والأرض . والمعنى لو تعددت الآلهة في السموات والأرض لفسد نظامهما واختل سيرهما الدقيق ، لأن التمانع والتعارض والاختلاف أمور ضرورية في تعدد الحاكمين . كما قال تعالى : ﴿إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ .

(٢٣٠) المؤمنون : ٩١ . (٢٣١) فاطر : ٣ .

(٢٣٢) مريم : ٦٥ . سميّاً : نظيراً وشبيهاً مسامياً أو مسمّى بأسمائه . ولا استفهام للنفي أي لا تعلم له سميّاً .

(٢٣٣) من المعبودات الباطلة كالأشجار والأحجار وغيرها من الأصنام والأوثان .

(٢٣٤) سورة الإخلاص . الصمد : السيد المصمود المقصود الذي يصمد إليه في قضاء =

التوحيد العلمي والعملية :

٤٨ - التوحيد هو اعتقاد وحدانية الله ، وإفراده بالعبادة ، والأول هو التوحيد العلمي ، والثاني هو التوحيد العملي ، ولا يكون المسلم مسلماً إلا بهما .
لقله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ ، ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ * لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ * وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ (٢٣٥) .

٤٩ - ومن توحيدة تعالى : توحيدة في ربوبيته (٢٣٦) ، وهو العلم بأن لا خالق غيره ولا مدبر للكون ولا متصرف فيه سواه .
لقله تعالى : ﴿ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ ﴾ ، ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ﴾ (٢٣٧) ، ﴿ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ﴾ (٢٣٨) .

ولقله صلى الله عليه وآله وسلم : « لَا مَانِعَ لِمَا أُعْطِيَتْ وَلَا مُعْطِيَ لِمَا

= الحوائج على الدوام، ولا يقضى أمر دونه وقيل هو المستغني عن سواه ، لأنه صمد بمعنى لا جوف له : أي هو المستغني عن الأكل والشرب ونحوهما .
وَالْكُفُوُ : المماثل والمشابه أي ليس له مكافئ . وتوحيد هذه السورة علمي لإقله تعالى (الصمد) .

(٢٣٥) سورة الكافرون، أي لكم أصنامكم التي تعبدونها بغير حق ، ولي إلهي المعبود بحق ولكم دينكم الذي أنتم عليه ، ولي ديني الذي أنا عليه وهو الحق ، والمعنى : لكم شرككم وأصنامكم، ولي عبادتي وتوحيدي وإخلاصي لله رب العلمين . ولا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي . وتوحيد هذه السورة كله عملي .

(٢٣٦) الرب هو المربي لجميع المخلوقات من طور إلى طور كتطور الإنسان من النطفة إلى العلقة إلى أن يصير بشراً سوياً .

(٢٣٧) الأعراف : ٥٤ . (٢٣٨) السجدة : ٥ .

مَنْعَتْ ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ (٢٣٩)»، رواه الشيخان .

٥٠- ومن توحيده تعالى توحيده في ألوهيته ، وهو العلم بأنه تعالى هو المستحق للعبادة وحده دون سواه ، والقصد والتوجه والقيام بالعبادات كلها إليه .
لقوله تعالى : ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ (٢٤٠) : ﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا (٢٤١) وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (٢٤٢) ، ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (٢٤٣) .

ولقوله صلى الله عليه وآله وسلم : « إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ » رواه الترمذي وغيره (٢٤٤) .

(٢٣٩) لم يروه البخاري، وإنما رواه مسلم (٤٧٨) وأحمد وغيرهم عن ابن عباس . الحد : الحظ .
أي . لا ينفع جدُّ المجدِّ إلا إذا أعنته . (٢٤٠) دُئِبَ : ٢٥ .

(٢٤١) حنيفاً : مستقيماً أي مائلاً عن العقائد المرفوعة إلى الله في الإسلام . وحنيفية ديانة سيدنا إبراهيم عليه السلام ويقال إنما سمي إبراهيم حنيفاً لأنه كان يحنف عما كان يعبد قومه من الآلهة الباطلة إلى عبادة الله الواحد الأحد . (٢٤٢) دُئِعِمَ : ٧٩ .

(٢٤٣) الأنعام : ١٦٢ - ١٦٣ . صلاتي ونسكي : عبدتي وذبيحتي . ووحدة النسك نسكية . ومحياي ومماتي . حياتي وموتي . وأنا أول المسلمين : ينبغي أن تكون هذه الآية شعار كل مسلم في الأمور والمصالح العامة كما قدمنا قولاً وعملاً ليتحقق فيه نوازع الإسلام .

(٢٤٤) صحيح . ت (٢٥١٦) وانظر صحيح سنن الترمذي (٢٠٤٣) . و الترمذي أحد رجال الصحاح ، وهو الحافظ المشهور أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك السلمي الضرير البوغي الترمذي . أحد الأئمة الذين يُقتدى بهم في علم الحديث ، صنف كتاب الجامع والعلل تصنيفاً متقناً وبه كان يُضرب المثل ، وهو تلميذ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (رضي الله عنه) . توفي لثلاث عشرة ليلة خلت من رجب سنة تسع وسبعين ومائتين بترمذ . وتمام الحديث كما أورده : «واعلم أن الأمة لو اجتمعت على ضرك أو تفعلك لا يضروك ولا ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك» . [لعلها رواية بالمعنى واللفظ : «لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك»... الحديث الناصر] .

٥١- ووحدانيتها تعالى في ربوبيته تستلزم وحدانيتها تعالى في ألوهيته فالمنفرد بالخلق (٢٤٥) والرزق والعطاء والمنع ، ودفع الضرر ، وجلب النفع هو الذي يجب أن يُفرد بالعبادة التي هي غاية الخضوع والذل مع الفقر والحاجة للعزير الغني القادر المنعم .

لقوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا (٢٤٦) وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٢٤٧).

ولقوله تعالى : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى (٢٤٨) اللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ * أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حِدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا إِلَهُ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ (٢٤٩) * أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِي وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا إِلَهُ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٢٥٠) *

(٢٤٥) الخلق : الإيجاد . والرزق بالفتح : إعطاء الرزق بكسرها : وهو كل ما ينتفع به .

(٢٤٦) أنداداً : جمع ند وهو التشبيه والمثيل والنظير في المستوى والسن .

(٢٤٧) البقرة : ٢١ - ٢٢ .

(٢٤٨) اصطفى : اختار ، والمصطفون هم الأنبياء والمرسلون - وهذه الآيات مبدوءة بالحمد والسلام كالخطبة .

(٢٤٩) أله مع الله : استفهام إنكاري بمعنى النفي أي لا إله مع الله .

ويعدلون : أي يميلون إلى الباطل كأن يميلون عن توحيده في العبادة إلى الإشراف به سواه فيها .

(٢٥٠) حاجزاً : أي جعل مانعاً من الأرض يمنع بين الماء المالح والماء العذب حتى لا

أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ
إِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ *

أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا (*) بَيْنَ يَدَيْ
رَحْمَتِهِ إِلَهٌ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ .

أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَهٌ مَعَ اللَّهِ
قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٢٥١) ﴿﴾ .

٥٢ - ومن توحيده تعالى : توحيده في شرعه . فلا حاكم ولا محلل ولا
محرم سواه .

لقوله تعالى : ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ ، ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ﴾ ، ﴿وَلَا
تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ
الْكَذِبَ (٢٥٢)﴾ .

وقوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْرُمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا
تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (٢٥٣) .

= تفوت المنفعة المقصودة من كل منهما . وتقرر : مقرر من لأرض شئت مضطرب . والقرار
والمنتقر بمعنى واحد .

وخلفاء : أمة تخلف أمة إلى أجل معلوم . قليلاً ما تذكرون : أي قبيح ذكركم نعمة الله .
(*) ونشراً : النشر مصدر الريح الطيبة أو الريح عموماً ، ولم يأت لفظ نريح في القرآن مفرداً إلا في
الشر ، والرياح بالجمع إلا في الخير ولذا جاء في الدعاء : «اللهم اجعلها رياحاً لا ريحاً» . (في
قراءة حفص بشراً وتركنا التعليق في الهامش على قراءة ورش حسب الأصل : (الناسر) .
ويبدأ الخلق ثم يعيده : كالمطر مثلاً ، فإن أصله ماء ، ثم يصير بخاراً ، وقد يجمد فيصبح ثلجاً
ثم يذوب فيعود ماء ، وبرهانكم : أي دليلكم على ادعائكم .

(٢٥١) النمل : ٥٩ - ٦٤ . (٢٥٢) النحل : ١١٦ .

(٢٥٣) المائدة : ٨٧ . وصف ألسنتهم بالكذب مبالغة في وصف كلامهم بالكذب ،
فألسنتهم كأنها الكذب بذاته . والافتراء تعمد الكذب .

وقوله تعالى : ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا ۖ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ (٢٥٥)
﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ (٢٥٦) ، ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ (٢٥٧).

وقوله تعالى : ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ (٢٥٨) .

٥٣ - ومن توحيده تعالى في ربوبيته :

اعتقاد أن العبد لا يخلق أفعال نفسه ، فهو كما لم يخلق ذاته ولم يخلق صفات ذاته ، كذلك لم يخلق أفعاله ، فهو كله مخلوق لله ذاته وصفاته وأفعاله. غير أنه له مباشرة لأفعاله باختياره ، فبذلك كانت أعمالاً له وكان مسؤولاً عنها ، ومجازى عليها ، وتلك المباشرة هي كسبه واكتسابه (٢٥٩) .

فيُسمى العبد عاملاً وكاسباً ومكتسباً ، ولا يُسمى خالقاً .

نعموه قوله تعالى : ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ﴾ ، ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ (٢٦٠) ، ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا

(٢٥٤) سَفَهًا : جهلاً . (٢٥٥) الأنعام : ١٤٠ .

(٢٥٦) شورى : ٢١ . (٢٥٧) الشورى : ١٠ .

(٢٥٨) نساء : ٥٩ . وأحسن تأويلاً : لأن حكم الله ورسوله أحسن الأحكام وأعدلها وأصحها للناس في دينهم ودنياهم . والتأويل : التقدير من تأول الكلام إذا فسر وقدره .

(٢٥٩) كسبه واكتسابه : الأول في الخير والثاني في الشر . والكسب والاكتساب في اللغة : انطب والجمع مطلقاً .

(٢٦٠) الضمير في لها وعليها للنفس .

يَرَهُ (٢٦١) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (٢٦٢).

٥٤- ومن توحيده تعالى في ربوبيته :

اعتقاد أن العبد لا يخرج في جميع تصرفاته عن مشيئة الله غير أن له اختياراً يجده بالضرورة من نفسه ، ومشية يجدها كذلك فيمكنه من أفعاله كان بهما مكلفاً ، ثم هو لا يخرج بها عن مشيئة الله .

لقله تعالى : ﴿وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (٢٦٣)، ﴿وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢٦٤).

وقوله تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ (٢٦٥)، ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ (٢٦٦)، ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا﴾ (٢٦٧)، ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ (٢٦٨).

٥٥- ومن توحيده تعالى في ربوبيته :

اعتقاده أن العبد لا يعلم الغيب وهو ما غاب عن خواص ، ولا يوصل إليه

(٢٦١) مثقال ذرة: مقدارها وميزانها، والذرة: واحدة نذر. وهو الهباء والغبار نديق المنتشر في الهواء، وهذا من تمام العدل والإنصاف للإنسان أن يجزى على كل ما يعمل من خير أو شر. (٢٦٢) الزلزلة : ٧- ٨ . (٢٦٣) الإنسان : ٣٠ . (٢٦٤) تكوير : ٢٩ .

(٢٦٥) الأنعام : ١١١. أي لو نزلنا إليهم الملائكة، وكلمهم الموتى. وجمعنا لهم كل شيء ما كانوا ليؤمنوا إلا بمشيئة الله، ولكن أكثرهم يجهلون فيظنون أن يمانهم يتوقف على ظهور معجزة. وقُبُلًا: أصنافاً متعددة جمع قبيل وقبيل، أي صنف صنف أو مقابلة. وأما قوله تعالى : ﴿لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا﴾ فمعناه لا طاقة لهم بها .

(٢٦٦) الأنعام : ١١٢ . (٢٦٧) يونس : ٩٩ .

(٢٦٨) الكهف : ٢٩ . ظاهره أمر وباطنه زجر وتهديد كقوله تعالى : ﴿افعلوا ما شئتم﴾ وهو من سنن العرب : (إذا لم تستح فاصنع ما شئت). ففيه تهديد ووعيد على الفعل .

بصحيح النظر فلا يُعلم منه إلا ما جاء في صحيح الخبر . فيجب الإيمان به حيثئذ
 كما جاء بدون زيادة ولا تنقيص (٢٦٩) .

نقوله تعالى : ﴿عَالَمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ
 رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا * لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا
 رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ (٢٧٠)، ﴿قَالُوا
 سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾ (٢٧١)، ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ
 وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبِ﴾ (٢٧٢)، ﴿وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا
 مَسْنِيَ السُّوءُ﴾ (٢٧٣)، ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ
 وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ (٢٧٤)، ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا
 إِلَّا هُوَ﴾ (٢٧٥)، ﴿عَالَمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾، ﴿قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ﴾، ﴿تَعْلَمُ
 مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ .

(٢٦٩) : أن من صفات المؤمن الإيمان بالغيب . ومن المغيبات التي تؤمن بها ولا ندركها
 حوريات : الملائكة، والجن، والجنة، والنار، والعرش، والصراط، والميزان .. إلخ وصحيح الخبر
 هو كذب والسنة .

(٢٧٠) : حن : ٢٦ - ٢٩ ، رصداً : حراساً من الملائكة، وقوله تعالى : ﴿إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ
 رَسُولٍ﴾ يخرج بهذا دجاجة الغيب، والمبالغات والتهاويل في شأن الأولياء، وافتراءات أهل
 سيون ومن ينسب إليهم من الأقطاب والأغواث والأوتاد، وسماسرة الغيب الآخرين من
 ضربي ترمز والودع، وقارئ الكف والطالع وغير ذلك من مختلف الوسائل التي تلبس على
 عمة وندهماء وضعاف العقول .

(٢٧١) : بقرة : ٣٢ . (٢٧٢) : هود : ٣١ .

(٢٧٣) : لأعراف : ٨٨ .

(٢٧٤) : الإسراء : ٣٦ . لا تقف : لا تتبع، وكل عضو مسؤول عنه صاحبه أي عما فعل به .
 والفؤاد هنا : العقل .

(٢٧٥) : الأنعام : ٥٩ .

الإيمان بالقدر

٥٦ - القدر في اللغة هو الإحاطة بمقدار الشيء. تقول : قدرت الشيء أقدره قدراً إذا أحطت بمقداره .

وقدرُ الله تعالى هو تعلق علمه وإرادته أزلاً بالكائنات كلها قبل وجودها، فلا حادث إلا وقد قدره الله تعالى ، أي سبق به علمه وتقدمت به إرادته، فكل حادث فهو حادث على وفق ما سبق به علم الله ومضت به إرادته (٢٧٦) .

لقوله تعالى : ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ (٢٧٧) ، ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ (٢٧٨) .

ولقوله صلى الله عليه وآله وسلم في حديث جبريل عليه السلام:

(٢٧٦) ليت دجاجة علم الغيب وسماسرة الدين الذين يفترون على الله مالا يعلمون ويوهمون الناس بالحرور ونحوها يتدبرون هذا . والوفق مصدر : الموافقة والمطابقة بين الشيئين . ومضت إرادته:

نفذت إرادته . وكم يعجبني قول الإمام الشافعي رضي الله عنه في القضاء والقدر:

ما شئتَ كان وإن لم أثنأ وما شئتَ إن لم تشأَ لم يكنْ

خلقت العباد لما قد علمتَ ففي العلم يُجزى الفتى والمُسِين

فمنهم شقي ومنهم سعيد ومنهم قبيح ومنهم حسن

على ذا منتت وهذا خذلتَ وهذا أعنت وذا لم تُعِن

(٢٧٧) القمر : ٤٩ . (٢٧٨) الأحزاب : ٣٨ . يعني أن التقدير سبق به علم الله وإرادته .

«وَتُؤْمِنُ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ حُلُوهِ وَمُرِّهِ» (٢٧٩).

٥٧- وكما سبق قدر الله للأشياء قبل أن يخلقها، كذلك كتبها في اللوح المحفوظ قبل خلقها (٢٨٠).

لقوله تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ لِكَيْلًا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ (٢٨١).

ولحديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ» (٢٨٢)، رواه مسلم (٢٨٣).

(٢٧٩) تقدم الحديث بتمامه في تعليق بيان معنى الإسلام رقم (١٨) رواه مسلم من غير زيادة (حلوه ومره).

(٢٨٠) يعني أمر القلم فكتبها في اللوح. والقلم واللوح من الأمور الغيبية تؤمن بها ولا ندرکہا بحواسنا.

(٢٨١) الحديد ٢٢. والمصيبة كل ما يصيب الإنسان من خير أو شر وقد تطلق على ما يناله من مكروه فقط. والكتاب هنا هو اللوح المحفوظ وهو من الأمور التي تؤمن بها ونكل إلى الله وصفه وماهيته. نبرأها: نخلقها. تفرحوا: فرح البطر والعجب وهذا ممنوع. والمختال الفخور: المتكبر المعجب بنفسه وهذا أيضاً ممنوع.

(٢٨٢) الخمسين ألف سنة: ليست كالسنتين المعروفة عندنا فعلمها عند الله والأعداد في القرآن كثيرة لا مفهوم لها وإنما المقصود التقريب والتمثيل. والعرش: مخلوق عظيم لله تعالى وهو أول المخلوقات، وهو في اللغة: سرير الملك وكرسي الحكم.

وعبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل السهمي أسلم قبل أبيه، ومن طريف أحواله أنه ليس بينه وبين أبيه إلا إحدى عشر أو اثنتا عشرة سنة مات ليلة الحرة سنة ثلاث وستين، وهو ابن ثلاث وسبعين سنة. (٢٨٣) برقم (٢٦٥٣).

العمل بالشرع والجدد في السعي مع الإيمان بالقدر:

٥٨ - الشرع معلوم لنا، وضعه الله لنسير عليه أعمالنا.

والقدر مُغَيَّبٌ عنا، أمرنا الله بالإيمان به لأنه من مقتضى كمال العلم والإرادة من صفات ربنا.

فالقدر في دائرة الاعتقاد، والشرع في دائرة العمل (٢٨٤).

وعلينا أن نعمل بشرع الله ونتوسل إلى المسببات المشروعة بأسبابها (٢٨٥)، ونؤمن بسبق قدر الله تعالى فلا يكون إلا ما قدره منها، فَمَنْ سَبَقَتْ لَهُ السَّعَادَةُ يُسَّرُ لَأَسْبَابِهَا، وَمَنْ سَبَقَتْ لَهُ الشَّقَاوَةُ يُسَّرُ لَأَسْبَابِهَا:

لحديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: (كُنَّا فِي جَنَازَةٍ فِي بَقِيعِ الْغَرْقَدِ (٢٨٦) فَأَتَانَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَمَعَهُ مَخْضَرَةٌ (٢٨٧)،

(٢٨٤) لا بد من الإيمان بالقدر والعمل بالشرع ولا منافاة بينهما: قال عليه السلام: «لَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ» يعني في شؤون الدنيا. أما في الآخرة فمعيوم أن أهل الإيمان في الجنة وغيرهم في النار.

(٢٨٥) كتوسلنا للنسل بالزواج وللزراع بالحراث، والعلم بانتعمه وهكذا مع الإيمان بالقدر. ولا يجوز أبداً ترك العمل الممكن المعلوم الذي أمر به الشرع اتكلاً على قدر مغيب مجهول عندنا مع إيماننا به.

(٢٨٦) بقية الغرقد: اسم مقبرة بالمدينة المنورة ضمت رفات عدد كبير من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم أجمعين لا تبعد عن الحرم النبوي وتعرف اليوم بالبقية.

(٢٨٧) المخضرة: عصا رقيقة يتوكأ عليها. ونكس رأسه: حناه وضأه لتفتكير والتدبير. ينكت: ينقط الأرض بالمخضرة شأن المفكر المتدبر لأن الحركة العقلية مرتبطة بالحركة البدنية غالباً. يقال للشئ الغامض (فيه نكتة) أي مسأله تحتاج إلى التروي واستعمال الفكر وفي هذه الحال يبدأ الإنسان يعث بأصابعه أو بما في يده بلا شعور فينكت الأرض مثلاً أو ينقر رأسه أو غير ذلك كأنما يبحث عن شيء فقده.

فَكَسَّ فَجَعَلَ يَنْكُتُ بِمَخْصَرَتِهِ ثُمَّ قَالَ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ، مَا مِنْ نَفْسٍ مَنفُوسَةٍ» (٢٨٨) إِلَّا كُتِبَ مَكَانُهَا مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَإِلَّا كُتِبَتْ شَقِيَّةٌ أَوْ سَعِيدَةٌ. فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا نَتَكَلَّمُ عَلَى كِتَابِنَا (٢٨٩) وَنَدْعُ الْعَمَلَ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَسَيَصِيرُ إِلَى السَّعَادَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ فَسَيَصِيرُ إِلَى الشَّقَاوَةِ؟

فَقَالَ: «اعْمَلُوا فَكُلُّ مَيَسَّرٍ: أَمَّا أَهْلُ السَّعَادَةِ فَسَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا أَهْلُ الشَّقَاوَةِ فَسَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ» (٢٩٠)، ثُمَّ قَرَأَ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى * وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ (٢٩١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ (٢٩٢).

ولحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلِّ خَيْرٍ».

(٢٨٨) منقوسة: مخلوقة. (٢٨٩) أي ما كتب لنا وقدر.

(٢٩٠) القدر مُغَيَّبٌ عَنَّا وَالشَّرْعُ مَعْلُومٌ لَنَا، فَيَجِبُ الْإِيمَانُ بِالْأَوَّلِ وَالْإِيمَانُ لِلثَّانِي، وَلَا يَرْتَبِطُ الْإِنْسَانُ بِالْمَغْيَبِ وَيَدْعُ الْمَعْلُومَ، وَلَا يَحْتَجُّ بِالْقَدْرِ وَحْدَهُ دُونَ الشَّرْعِ، كَأَن يَعْمَلَ مُحَرَّمًا وَيَقُولُ قَدْرَهُ اللَّهُ، بَلْ فَعَلْتَهُ شَهْوَتُهُ، وَامْتَثَلَ مَا سَوَّلَتْهُ لَهُ نَفْسُهُ، وَتَرَكَ الْإِمْتِثَالَ لِلشَّرْعِ، فَكَلَامُهُ مُرَدُّودٌ وَحُجَّتُهُ بَاطِلَةٌ لِأَنَّهُ لَا يَعْلَمُ قَدْرَ اللَّهِ الْمَغْيَبِ عَنْهُ حَتَّى يَحْتَجَّ بِهِ.

(٢٩١) أَعْطَى مَا وَجِبَ عَلَيْهِ مِنْ زَكَاةٍ وَغَيْرِهَا، وَاتَّقَى أَيِ امْتَنَعَ عَمَّا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ كَالْحَرَمَاتِ وَالْمَكْرُوهَاتِ. وَالْحُسْنَى الشَّهَادَةُ. وَالْيُسْرَى هِيَ الْجَنَّةُ، وَالْعُسْرَى هِيَ النَّارُ، فَمَنْ سَارَ فِي طَرِيقِ الْخَيْرِ سَهْلَهُ اللَّهُ لَهُ وَوَجَدَ خَاتِمَةَ مَطَافِهِ الْجَنَّةَ. وَمَنْ سَارَ فِي طَرِيقِ الشَّرِّ وَاسْتَمَرَّ فِيهِ وَجَدَ خَاتِمَةَ مَطَافِهِ جَهَنَّمَ.

(٢٩٢) هذه رواية مسلم برقم (٢٦٤٧)، أما البخاري فقد رواه بلفظ آخر تحت رقم (١٣٦٢).

أَحْرَصُ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِزْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزْ وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ.. كَانَ كَذَا وَكَذَا وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ فَإِنْ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ» (٢٩٣). رواه مسلم (٢٩٤).

الاحتجاج بالقدر :

٥٩- لا يُحتج بالقدر في الذنوب (٢٩٥) لأن حجة الله قائمة على الخلق بالتمكين والاختيار والدلالة الشرعية (٢٩٦) .

لقوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾ (٢٩٧) .

(٢٩٣) من مقتضى الإيمان: القوة والحركة والعمل ، فبتحرك الإنسان ويعمل بما يُقَوِّي عقله وقلبه وبدنه ؛ فيقوِّي العقل بالعلم والتفكير . والقلب بالإيمان ويقين . والبدن بالنظافة والرياضة ومن كان كذلك فهو أحب إلى الله وناس من مؤمن ضعيف . قال عمر بن الخطاب يوماً لجماعة القراء وهم يحشون النهيصة : (لا تُعَيِّتُوا عَلَيْنَا دِينَنَا أَمَاتَكُمْ اللَّهُ) . وقالت عائشة رضي الله عنها تخاطب القراء أيضاً : (كان عمر إذا ضرب أوجع ، وإذا مشى أسرع ، وإذا تكلم أسمع) . ولا تعجز : معناه لا تيأس ، وعمل الشيطان وسأوسه ومداخله وأوهامه للإفساد . وفي الحديث علاج ضعف الإيمان من أول قوله : احرص إلى آخره .

(٢٩٤) برقم (٢٦٦٤) .

(٢٩٥) بمعنى لا يُلقَى الإنسان التبعة على القدر ويقول أنا مسير لا مخير . وكثيراً ما يقول الإنسان الشرقي ذلك فيعوقه عن النهوض وتنمية الإرادة والعزيمة والقدرة .

(٢٩٦) الدلالة الفطرية : هي ما يدركه الإنسان بفطرته وخلقته من ضار ومن نافع . وحتى الحيوانات تعرف ذلك . والدلالة الشرعية : هي ما جاء في شرع الله عن الحرام وعن الحلال . وقدرة التمكن والاختيار : لا يمكن إنكارهما .

(٢٩٧) الزخرف : ٢٠ . يخرصون: يقولون غير الحق لأنهم لا يعلمون أن الله شاء لهم أو لم يشأ، فكيف يحتجون بالقدر. وهو مُغِيب عنهم. ولهؤلاء المشركين حجة أخرى عرجاء =

الحذر والقدر :

٦٠ - مع الإيمان بالقدر ، يجب الأخذ بالحذر .

لقوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ (٢٩٨) ، وقوله تعالى : ﴿وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾ (٢٩٩).

الحكمة والعدل في القدر :

٦١ - القدر كله عدل وحكمة ، فما يصيب العباد فهو جزاء أعمالهم . وقد تُدرَك حكمة القدر ولو بعد حين ، وقد تخفى ، لأن من أسمائه تعالى : الحكيم ، ورد في الآيات والأحاديث الكثيرة .

ومن أسمائه تعالى : العدل ، ورد في حديث الأسماء عند الترمذي (*) .

ولقوله ﷺ في حديث الكرب : «عَدْلٌ فِي قَضَائِكَ» (٣٠٠) .

ولقوله تعالى : ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ (٣٠١) .

= في عكوفهم على معبوداتهم الباطلة إذ قالوا : ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾ ، وهم بهذا كالقردة يقلدون بدون فقه ولا تدبر ، وهم بذلك أيضاً يلغون وجودهم الإنساني ، وميزة التفكير والعقل ، فيرتدون عن الإنسانية الرشيدة إلى الطفولة والبشرية البدائية .
(٢٩٨) النساء: ٧١ . (٢٩٩) النساء: ١٠٢ .

(*) تعيين الأسماء في حديث أبي هريرة: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا...» الحديث رواه الترمذي (٣٥٠٧) والبيهقي (١٠٢) في الشعب وابن ماجه (٣٨٦١) وهذه الزيادة ضعيفه وبدون تعيين الأسماء فالحديث متفق عليه البخاري (٦٤١٠) ومسلم (٢٦٧٧) ضعيف سنن الترمذي (٦٩٦) [الناشر] .

(٣٠٠) تقدم حديث الكرب بتمامه في درس (٣٩) في عقيدة الإثبات والتنزيه (

(٣٠١) الثوري : ٣٠ .

الإيمان بالملائكة عليهم السلام

٦٢- الملائكة مخلوقون من النور ، لا يوصفون بذكورة ولا بأنوثة .
ميسرون للطاعات ، معصومون من المعاصي ، مسخرون يذنبون لله في شؤون
الخلق وتدير الكون ، وحفظ العباد ، وكتابة أعمالهم . وأمداء على الوحي في
حفظه وتبليغه .

لحديث عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم : « خَلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ ^(٣٠٣) مِنْ نَارٍ وَخُلِقَ
آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ » رواه مسلم (٣٠٣).

ولقوله تعالى : ﴿ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشْهَدُوا
خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴾ ^(٣٠٤) ، ﴿ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ
عِلْمِهِ ﴾

(٣٠٣) المارج . الشعلة ذات اللهب الشديد ، وهو من قولك مرج الشيء إذا اضطرب ولم
يستقر وكذلك اللهب مضطرب . فقوله من مارج من نار : أي من نار لا دخان لها .
« وخلق آدم مما وُصف لكم » أي من صلصال كالفخار ، والصلصال هو الطين إذا نقرت عليه
صل وصوت ، والفخار طين ولكنه مطبوخ وصل وصلصل بمعنى واحد مثل صر الباب
وصرصر عند الإغلاق أو الفتح . بمعنى أحدث صوتاً .

(٣٠٣) برقم (٢٩٩٦) .

(٣٠٤) الزخرف : ١٩ .

عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ * يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٣٠٥﴾ .
﴿وَأِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ * وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾ ﴿٣٠٦﴾ .
﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ * يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ
وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ ﴿٣٠٧﴾ . ﴿يَخَافُونَ
رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ ﴿٣٠٨﴾ ، ﴿فَالْمَقْسَمَاتِ أَمْرًا﴾ ﴿٣٠٩﴾ ،
﴿فَالْمَدْبَرَاتِ أَمْرًا﴾ ﴿٣١٠﴾ ، ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ ﴿٣١١﴾ ، ﴿لَهُ
مُعَقَّبَاتٌ﴾ ﴿٣١٢﴾ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ ﴿٣١٣﴾ .
﴿وَإِنْ عَلَيْكُمْ لِحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ ﴿٣١٤﴾ ،
﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ * مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ
عَتِيدٌ﴾ ﴿٣١٥﴾ ، ﴿فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ * مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ * بِأَيْدِي سَفَرَةٍ *

(٣٠٥) الأنبياء: ١٩ - ٢٠ . ولا يستحسرون: لا يكلون ولا يسأمون لشدة محبتهم وقوتهم
فهم لا يعيون ولا يتعبون .

لا يفترون: لا يسكنون عن نشاطهم في العبادة فهم مستغرقون دائماً في العبادة
(٣٠٦) الصافات: ١٦٥ - ١٦٦ . الصافون: الواقفون صفوفاً في العبادة والجهاد وكل
الطاعات والعبادات هم فيها صفوف صفوف مثل الناس في الصلاة .

(٣٠٧) الأنبياء: ٢٧ - ٢٨ . مشفقون: أي خائفون .
(٣٠٨) النحل: ٥٠ . من فوقهم: الفوقية معنوية، فالله سبحانه لا يُحدُّ بزمان ولا بمكان . هذه

العبارة توهم معنى غير الذي عناه الشيخ . والفصل: أن الفوقية على الحقيقة كما هو ثابت بلا
كيف . وعبرة «لا يُحدُّ بزمان ولا مكان» من كلام المتكلمة التي يلزم عدم الخوض فيه . الناشر

(٣٠٩) الذاريات: ٤ . المقسمات أمراً: هم الملائكة يقسمون المقدرات التي قدرها الله تعالى .

(٣١٠) النازعات: ٥ . (٣١١) الطارق: ٤ .

(٣١٢) معقبات: ملائكة يعقب بعضهم بعضاً في الليل والنهار .

(٣١٣) الرعد: ١١ . (٣١٤) الانفطار: ١٠ - ١٢ .

(٣١٥) ق: ١٧ - ١٨ . رقيب عتيد: الرقيب: هو الحافظ لأعماله ، والعتيد: هو المعد =

كِرَامِ بَرَّةٍ ﴿٣١٦﴾ ،
 ﴿إِنَّهُ لَفُرْقَانٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ * لَا يَمَسُّهُ إِلَّا
 الْمُطَهَّرُونَ﴾ ﴿٣١٧﴾ . ﴿فَالْمَلَكِيَّاتِ ذِكْرًا * عَذْرَاءً أَوْ تَنْذَرًا﴾ ﴿٣١٨﴾ .
 ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾ ﴿٣١٩﴾ .

* * *

= الحاضر، قيل هما ملكان من ملائكة الله يسجلان على الإنسان حسنه ومسيته. وقعيد، ملك
 قاعد مثل جليس وجالس .

(٣١٦) عبس: ١٣-١٦. سفره: ملائكة يسفرون بين الله وبين أنبيائه وحدهم سافر، من
 سفرت بين القوم إذا مشيت بينهم بالصلح، فجعلت الملائكة إذا نزلت بسوحي لهداية ولتربية
 الناس وتأديبهم كالسفير الذي يصلح بين القوم .

(٣١٧) الواقعة: ٧٧-٧٩. مكنون: محفوظ ومصون من الخلط والزيادة والتنقيص .
 ومكنون من كن الشيء وأكنه إذا ستره وأخفاه في كنه، والكن وقء كل شيء وستره .
 ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ .

(٣١٨) المرسلات: ٥-٦. (٣١٩) الحج: ٧٥ .

الإيمان بكتب الله تعالى

٦٣- نؤمن بجميع كتب الله المنزلة على رسله عليهم الصلاة والسلام ،
فمنها : التوراة والإنجيل والزبور والقرآن (٣٢٠) . ومنها غيرها مما لم نعلمه على
سبيل التفصيل ، فكلها من عند الله وكل ما فيها حق . لقوله تعالى :
﴿وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ﴾ (٣٢١) ، ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ
بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ * مِنْ قَبْلُ هَدَى لِلنَّاسِ
وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ﴾ (٣٢٢) ، ﴿وَأَتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ (٣٢٤) .

حفظ الله القرآن دون غيره :

٦٤- حفظ الله القرآن من الزيادة والنقص والتحريف والتبديل ، فبقي كما
أنزله الله إلى يوم القيامة ، فهو كله حق من عند الله ، ولم يحفظ غيره من

(٣٢٠) التوراة كتاب موسى عليه السلام . والإنجيل كتاب عيسى عليه السلام . والزبور
كتاب داود عليه السلام ، والقرآن كتاب محمد عليه السلام ، ويُسمى أيضاً الفرقان لأنه يفرق
بين الحق والباطل .

(٣٢١) الشورى: ١٥ .

(٣٢٢) آل عمران: ٣-٤ .

(٣٢٤) النساء: ١٦٣ .

الكتب ، فدخلت عليها الزيادة والنقص ، والتحريف والتبديل . ففيها حق وفيها باطل . لقوله تعالى :

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (٣٢٥) . ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا ﴾ (٣٢٦) عَلَيْهِ ٥

القرآن هو الهداية العامة للبشر :

٦٥- نؤمن بأن القرآن العظيم أنزله الله تعالى هداية عامة لجميع البشر لما فيه سعادتهم الدنيوية والأخروية بتنوير العقول ، وتركية النفوس . وتقوية الأعمال ، وإصلاح الأحوال ، وتنظيم الاجتماع البشري على أكمس نظم . وأن كل ما خالفه فهو ضال (٣٢٨) .

لقوله تعالى : ﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ (٣٢٩) ﴿ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (٣٣٠) ، ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ

(٣٢٥) الحجر : ٩ .

(٣٢٦) مهيمناً عليه : شاهداً ومؤمناً وقيماً على كتاب قبله لأنه يشهد بصحة صحيح وسقم السقيم من الكتب السوالم فما وافقه فذلك هو الحق . وما خالفه فهو باطل .

(٣٢٧) المائدة : ٤٨ .

(٣٢٨) النزكية بمعنى التطهير . وخليق بنا إذن أن نقف عند وظيفة القرآن الكريم ، فلا نكره آياته على ما لا تتحملة ، ولا نفسرها ونطوعها قهراً لما نريده ، لأن ذلك يس من مهمته فلا نحملة عليه .

(٣٢٩) إبراهيم : ١ .

(٣٣٠) الأعراف : ١٥٧ . عزروه : نصروه وأيدوه وكانوا معه .

وَرَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٣١﴾.

ولقوله صلى الله عليه وآله وسلم في خطبته يوم عرفة في حجة الوداع :
«وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنْ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ : كِتَابَ اللَّهِ» رواه مسلم (٣٣٣).

الإيمان بالسنة إيمان بالقرآن :

٦٦- ومن الإيمان بكتاب الله أن نؤمن بأن كل ما ثبت عن النبي (٣٣٤) صلى الله عليه وآله وسلم فهو حق من عند الله ، وبيان لكتاب الله ، وأن الأخذ به أخذ بالقرآن ، وأن الترك له ترك للقرآن . لقوله تعالى :
﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ (٣٣٥)، ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (٣٣٦).

(٣٣١) الإسراء : ٨٢.

(٣٣٢) اعتصمتم به : تمسكتم به وعملتكم بما فيه، ومما نزل من الوحي في حجة الوداع بعرفة قوله تعالى : ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾ إلخ . فقد أتم الله بها التشريع ، وأكمل الفرائض والأحكام حتى صار القرآن دستوراً كاملاً للإسلام .

(٣٣٣) برقم (١٢١٨).

(٣٣٤) السنة النبوية هي كل ما ثبت عن النبي ﷺ من قول وفعل وحكم وتقرير وهي حجة في دين الله بالإجماع .

(٣٣٥) الحشر : ٧. السنة بيان وشرح وتفسير لما أبهم من القرآن أو تفصيل لما أجمل فيه بدليل هذه الآية وغيرها من الآيات البينات الكثيرات مثل : ﴿وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه﴾ .

(٣٣٦) النحل : ٤٤ .

ولقوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي
الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ (٣٣٧) فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ
تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا (٣٣٨) ، ﴿وَمَا كَانَ
لِلْمُؤْمِنِ وَلَا الْمُؤْمِنَةِ إِذَا قُضِيَ إِلَيْهِمْ أَمْرٌ أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ
وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ (٣٣٩) . ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا
يُؤْمِنُونَ حَتَّى يَحْكُمُواكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا
قُضِيَْتَ وَيَسْلُمُوا تَسْلِيمًا﴾ (٣٤٠) .

* * *

(٣٣٧) أمر بطاعة الله والرسول . وأولي الأمر منّا ، وذلك بامتنال الأمر و جتناب النواهي ،
واتباع السنة . وجاء في الأثر . «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق» .
(٣٣٨) النساء: ٥٩ . وأحسن تأويلاً : لأن حكمه تعالى من أحسن الأحكام . والتأويل هو
التفسير والتقدير وما يؤول إليه الكلام من معنى وعاقبة . يقال : تأول فلان دابة أي نظر إلى ما
يؤول إليه معناها .
(٣٣٩) الأحزاب: ٣٦ . الخيرة : الاختيار ، وقضى بين الخصمين : حكم بينهما وفصل .
ومعنى الآية ليس لأحد من المؤمنين أن يختار بعد حكم الله ورسوله . وما على المؤمن الحق إلا
السمع والطاعة والامتثال لله ورسوله والإسراع إلى مرضاتهما .
(٣٤٠) النساء: ٦٥ . التشاجر : التنازع والتخالف . يقال : (شجر ما بينهم) أي تنازعوا .
والحرج : الضيق والإثم أو الاعتراض . يقال : (حدث عن البحر ولا حرج) أي ولا اعتراض
عليك . ويسلموا : بمعنى ينزلوا على حكمه ويرضوا بقضائه ، ويدعوا لأحكامه .

عقائد الإيمان بالرسول عليهم الصلاة والسلام

٦٧- إن الربَّ الحكيمَّ جلَّ جلاله خلقنا لعبادته ، وفي عبادته كمالنا وسعادتنا ، وعبادته بطاعته فيما أمرنا ونهانا وأباح لنا .
ولا يمكننا أن نعرف ذلك إلا إذا بينه لنا فاختار منا - تفضلاً منه ورحمة - قوماً فطرهم ^(٣٤١) على الفضائل والكمالات ، وعصمهم من الرذائل والنقائص وهبهم لملاقة الملائكة الأطهار ، ليتلقوا منهم وحي الله ^(٣٤٢) وبيانه للعباد ، فيبلغوه إليهم ، ويكونوا قدوة لهم في تنفيذه والعمل به .
وهؤلاء هم الأنبياء والمرسلون عليهم الصلاة والسلام الذين نؤمن بهم كلهم . من عرفنا منهم بتعريف الله ومن لم نعرف .
لقوله تعالى :
﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ ^(٣٤٣) .

(٣٤١) فطرهم على الفضائل أنشأهم وطبعهم عليها . وعصمهم من الرذائل : حفظهم ووقاهم منها .
(٣٤٢) وحي الله ما يلقيه إلى أنبيائه ورسله ليعلمهم شرائعه وأحكامه .
(٣٤٣) الذاريات : ٥٦ .

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ (٢٤٤)، ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ (٣٤٥)، ﴿مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾ (٣٤٦)، ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (٣٤٧)، ﴿إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ﴾ (٣٤٨)، ﴿عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ (٣٤٩)، ﴿إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ * رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾ (٣٥٠)، ﴿وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفِينَ الْأَخْيَارِ﴾ (٣٥١)، ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ (٣٥٢)، ﴿قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا﴾ (٣٥٣).

ولقوله تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا * لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ﴾ (٣٥٤)، ﴿فَبِهْدَاهُمْ اقْتَدِهْ﴾ (٣٥٥).

-
- (٣٤٤) الأنفال: ٢٤. لما يحييكم: لما فيه حياتكم وسعادتكم في الدنيا والآخرة .
- (٣٤٥) البينة: ٥ .
- (٣٤٦) الشورى: ٥٢ .
- (٣٤٧) آل عمران: ٣٣ .
- (٣٤٨) يمين: ينعم ويتفضل .
- (٣٤٩) إبراهيم: ١١ .
- (٣٥٠) الدخان: ٥ - ٦ .
- (٣٥١) ص: ٤٧ .
- (٣٥٢) الأنعام: ١٢٤. من حكمة الله البالغة أن يختار من البشر من يصح لتحمل أعباء رسالاته ممن يتصفون بكل كمال .
- (٣٥٣) الإسراء: ٩٥ .
- (٣٥٤) الجن: ٢٦ - ٢٨. رصداً: حرساً من الملائكة ليحفظوه من احتطاف شياطين الذين يسترقون السمع ، وسبقت الإشارة إلى ذلك في التعليق على الآية في توحيد الله تعالى في ربوبيته درس (٥٥) ، وفيها إشارة إلى دجاجة الغيب وسامسة الإفك .
- (٣٥٥) الأنعام: ٩٠ . اقتده: اتبع يا محمد هؤلاء الأنبياء الأخيار واتبع ملتهم الصحيحة ، وبذلك اجتمعت له كل الكمالات .

ولقوله تعالى : ﴿ لَا تَفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ﴾ (٣٥٦) ، ﴿ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ﴾ (٣٥٧) .

٦٨- هم حجة الله وشهوده ، أنبأهم الله بوحيه ، وأرسلهم لتبليغه لخلقه ، ليُعرفوهم به وبشرعه ، وينبھوهم إلى آياته ، ويذكروهم بإنعاماته ، ويبيشروهم بالسعادة والنجاة إذا اتبعوهم ، ويخوفوهم من الشقاوة والهلاك إذا خالفوهم ، فقامت بهم - لما بلغوا الرسالة وأدوا الأمانة - حجة الله على خلقه ، وكانوا - وهم العدول الأمناء الصادقون - شهداء عليهم يوم لقائه .

ولقوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ ﴾ (٣٥٨) وَعِيسَى وَيُوشَعَ وَهَارُونَ وَشَلِيمَانَ وَآدَمَ وَدَاوُدَ زَبُوراً * وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا * رُسُلًا

(٣٥٦) البقرة : ٣٨٥ . لا نفرق بين أحد من رسله : نحن قوم نؤمن بجميع الأنبياء والمرسلين عملاً بما جاء في القرآن وبهذا ننال رضی الله ورضی جميع أنبيائه ، بخلاف من يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض .

(٣٥٧) غافر : ٧٨ . قصصنا عليك : ذكرنا لك وحدثناك عنهم ، وعدد المذكورين في القرآن خمسة وعشرون نعرفهم بأسمائهم جمعهم الناظم في هذين البيتين :

في (تلك حجتنا) منهم ثمانية من بعد عشر ويبقى سبعة وهمو

إدريس ، هود ، شعيب ، صالح ، وكذا ذو الكفل ، آدم ، بالختار قد ختموا .

(٣٥٨) الأسباط في اليهود كالقبائل في العرب ، وهم اثنا عشر سبطاً من اثني عشر ولداً ليعقوب عليه السلام وسُمي هؤلاء بالأسباط ، وهؤلاء بالقبائل للفصل بين أبناء الأخوين إسماعيل ويعقوب ابني إبراهيم عليهم السلام .

والسبط أيضاً ولد البنت مقابل الحفيد الذي هو ولد الابن .

مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِقَالِ يُكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ ^(٣٥٩) بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ^(٣٦٠) .

ولقوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ ^(٣٦١) . ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ﴾ ^(٣٦٢) .

تأييد الله لهم بالبينات والآيات:

٦٩- لما أرسل الله الرسل لهداية خلقه ، وإقامة حجته . يُدْعِمُهُم بِنَبِيْنَات ، وهي كل ما تبين به الحق ، من كمال سيرتهم في قومهم ، ووضوح بيانهم . وقوة حججهم ، وأيدهم بالآيات المعجزات ^(٣٦٣) الخارقة للعادة . منعجوز عن معارضتها ^(٣٦٤) ، فكانوا يدعون الخلق بالحجج والبراهين .

(٣٥٩) حجة : تعلقة واعتذار.

(٣٦٠) النساء: ١٦٣ - ١٦٥ .

(٣٦١) النساء: ٤١ . (٣٦٢) النحل: ٨٩ .

(٣٦٣) الآيات : العلامات والعبير والعجائب من القول المعجز أو غيره مما فيه عبرة والعظة والتبكي . والآية من القرآن : جملة كلمات بليغة محكمة .

(٣٦٤) تحدى الرسول العرب وهم أرباب البلاغة وزعماء البيان أن يأتي بشيء من القرآن فعجزوا وباءوا بالفشل الذريع . فكانت هذه هي آيته الكبرى ، وهي آية عمية عقبية باقية لها صفة الديمومة بخلاف معجزات الأنبياء السابقين فمرهونة بوقتها .

والخارقة للعادة أي المتجاوزة لحدود المؤلف المعروف ، المحطمة المهدمة لما عتده الناس من عادات بحيث لا يمكن لأحد مهما أوتي من علم ومن براعة وحذق أن يحاكيها أو يقلدها . وبذلك يثبت فشله وعجزه ، هذه هي المعجزات الخارقة للعادة .

ومن ينكر المعجزات في الحقيقة ينكر نفسه وعقله ، ولو طالبناه بإثبات ماهية عقله الذي يحكم به على الأشياء لعجز !! .

فإذا سألوهم آية ردوا الأمر إلى الله ، وتبرأوا من أن يكون لهم معه تصرف في الكون حتى يأتوا بالآيات ، فيعطيهم الله الآيات تأييداً لهم ، وتخويفاً لقومهم : فيخضع قوم فيؤمنون ، ويستمر الأكترون على العناد (٣٦٥) ، فتحق عليهم كلمة العذاب .

لقوله تعالى : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ ﴾ (٣٦٦) ، ﴿ قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا ﴾ (٣٦٧) ، ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُنْذِرَ لِقَوْمِهِ ﴾ (٣٦٩) ، ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ ﴾ (٣٧٠) .
 ولقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴾ (٣٧١) * قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ

(٣٦٥) العناد : التماذي على الضلال ومخالفة الحق مع معرفته . وتحق عليهم كلمة العذاب : مثل : ﴿ حق عليهم القول ﴾ و ﴿ حق كلمة ربك ﴾ أي وجبت وثبتت عليهم الحجة وقام عليهم الدليل فوجب العذاب وحق العقاب .

(٣٦٦) الحديد : ٢٥ .

(٣٦٧) مرجوًّا : أي كنا نرجو منك الخير والعقل ، إذا بك تخيب آمالنا ورجاءنا فيك وهذا من عنادهم ومكابرتهم .

(٣٦٩) إبراهيم : ٤ .

(٣٦٨) هود : ٦٢ .

(٣٧٠) الأنعام : ٨٣ .

(٣٧١) مريب : موقع في الريبة ، موجب للاضطراب وهذا منهم محض كذب . وفاطر السموات والأرض : خالقهما ومبدعهما لا على مثال سابق . وأجل مسمى : وقت معلوم معين .

لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأَتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٣٧٣﴾ * قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ * وَمَا لَنَا أَلَّا تَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا ﴿٣٧٤﴾ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٧٥﴾ .

ولقوله تعالى : ﴿ وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴾ (٣٧٥) .

تمام عبوديتهم مع علو مرتبتهم :

٧٠- هم عليهم الصلاة والسلام على علو منزلتهم لا يمتازون عن الخلق في تمام عبوديتهم ، بافتقارهم إلى الله ، وجريان قدره عليهم ، وعدم منكرهم شيئاً معه من التصرف في ملكه ، وعدم علمهم الغيب إلا ما علمهم الله ، وجريان شرعه عليهم ، وقيامهم بما كلفوا به خاضعين لله راجين خائفين . ثمونه تعالى : ﴿ لَنْ يَسْتَكْفِرَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ ﴾ (٣٧٦) ،

(٣٧٢) بسُلطان مبين : بحجة بيّنة ومعجزة ظاهرة يقترحونها ، ومعلوم أن الرسل جاءتهم بالبينات ، ولكن مع وضوح الحق لجأ الكافرون في طغيانهم يعمهون .

وتصدوننا معناه : تصرفونا وتمنعونا .

(٣٧٣) وهدانا سبلنا : دلنا على طرق الحق والاستقامة .

(٣٧٤) إبراهيم : ٩ - ١١ .

(٣٧٥) الإسراء : ٥٩ .

(٣٧٦) النساء : ١٧٢ . لا يأنف ولا يمتنع المسيح عن أن يكون عبداً لله ولا الملائكة كذلك .

﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ (٣٧٧) ، ﴿وَمَا أَدْرِ مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبَعُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ﴾ (٣٧٨) وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ (٣٧٩) ، ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَا سْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ﴾ (٣٨٠) وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾ (٣٨١) .

﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكُكُمْ إِلَّا بِمَا تَعْمَلُونَ عَلَيْهِ﴾ (٣٨٢) ، ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ (٣٨٣) .
ولقوله تعالى : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ﴾ (٣٨٤) إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ (٣٨٥) .

(٣٧٧) القصص : ٢٤ . الضمير لسيدنا موسى عليه السلام .

(٣٧٨ ، ٣٨٠) الضمير لسيدنا محمد عليه الصلاة والسلام .

(٣٧٩) الزخرف : ٩ .

(٣٨١) الأعراف : ١٨٨ . اللَّهُ هُوَ النّافِعُ وَهُوَ الضّارُّ ، وَلَيْسَ لِلرّسُولِ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا مَا عَلَّمَهُ اللَّهُ ، وَلَوْ كَانَ يَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرَ مِنْ أَسْبَابِ الْخَيْرِ وَلَمَّا لَحَقَهُ الْأَذَى وَإِذَا كَانَ الرّسُولُ لَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ فَكَيْفَ بغيره؟

(٣٨٢) هود : ٨٨ . الضمير لسيدنا شعيب عليه السلام .

(٣٨٣) المؤمنون : ٥١ .

(٣٨٤) يبتغون : خبر الذين يدعون - والضمير عائد على الملائكة عليهم السلام . والوسيلة : الطاعة والعبادة التي يتوسلون بها للتقرب إلى الله .

والمعنى : أن الملائكة والأنبياء وصالحى المؤمنين يعبدون الله ويتنافسون في التّقرب إليه بالأعمال الصّالحة رجاء رحمته وخوف عذابه . والخوف والرجاء والمحبة أصل كل خير ، ووصف الله بها المقربين من عباده الصّالحين .

(٣٨٥) الإسراء : ٥٧ .

تأدبنا معهم فيما عوتبوا عليه واستغفروا منه :

٧١- هم عباد الله يخاطبهم بما شاء ، ويعاتبهم بما أُرِدَ . فيعترفون ويستغفرون ، وليس لنا فيما عوتبوا عليه (٣٨٦) واستغفروا منه إلا حكاية لفظه كما ثبت في الكتاب والسنة ، مع اعتقاد احترامهم وإكبارهم . والله أعلم بعبابهم على قدر علو منزلتهم . وأنهم لكمال معرفتهم بربهم وعظيم حقه عندهم يرون ما لا يعدُّ تقصيراً بالنسبة لغيرهم تقصيراً بالنسبة لهم . لقوله تعالى :

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُهِيناً﴾ (٣٨٧) .

* * *

(٣٨٦) كقوله تعالى : ﴿فَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ﴾ وفي حق إبراهيم : ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ . وغير ذلك مما نتلوه ونؤمن به وليس لنا أن نخوض فيه بموازيننا ، بل نكتفي بذكر الخبر كما جاء في القرآن أو في الحديث دون زيادة أو نقصان : ما ثبت للأنبياء من الفضل والمقام الكريم عند الله .

قال تعالى : ﴿وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار﴾ . والقول المأثور : (حسنات الأبرار سيئات المقربين) ، من خير ما يتمثل به في هذا الباب .

(٣٨٧) الأحزاب: ٥٧ .

ختم الرسالة وعمومها

٧٢- ختم الله الرسالة بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم .
وجعل رسالته الرسالة العامة للجن والإنس والملائكة (٣٨٨) .
وجعل شريعته الشريعة (٣٨٩) الجامعة لما يحتاج إليه البشر فيما بقي آخر
أطوارهم في وجودهم ، وهو طور رقيهم العقلي والعلمي والعمراني ، فأغنت
عما قبلها من الشرائع فكانت ناسخة (٣٩٠) لها .
ولهذا جعل آيته القرآن آية عقلية علمية خالدة ، يخضع لها ويهتدي بها كل
من سمعها وفهمها . لقوله تعالى: ﴿ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ (٣٩١) .

(٣٨٨) جاءت الرسالة للثقلين : الإنس والجن وأما الملائكة فللتشريف لا للتكليف، لأنهم
عليهم السلام معصومون من المعاصي ، منزهون عن النقائص : ﴿ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ
ويفعلون ما يؤمرون ﴾ .

(٣٨٩) الشريعة ما شرعه الله للناس من أحكام فيتبعونها كما يتبعون الطريق .
(٣٩٠) النسخ : التغيير والتبديل والاستغناء . فرسالة محمد عليه الصلاة والسلام لما جمعت
من فضائل الرسائل السابقة، ولما احتوت عليه من خير كامل ونفع عام للبشرية كانت ناسخة
لما قبلها من الشرائع أي مبطلة لها .
(٣٩١) الأحزاب: ٤٠ .

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ (٣٩٢) ، ﴿لَا نُنْذِرُكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ (٣٩٣) ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ﴾ (٣٩٤) ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (٣٩٥) ﴿أَوْ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ﴾ (٣٩٦) ، ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا﴾ (٣٩٧) .

ولحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « مَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ نَبِيٍّ إِلَّا أُعْطِيَ مَا مِثْلُهُ أَمِنْ عَلَيْهِ الْبَشَرُ ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ » (٣٩٨) رواه البخاري ومسلم (٣٩٩) .

(٣٩٢) الأعراف: ١٥٨ .

(٣٩٣) الأنعام: ١٩ . المعنى والله أعلم : لأنذركم بالقرآن ، وأنذر من بلغه القرآن .

(٣٩٤) الأحقاف: ٢٩ . صرفنا : أملنا ووجهنا نحوك . والنفر : الجماعة من الثلاثة إلى العشرة ، ويطلق أيضاً على الواحد يقال : ثلاثة أنفار أي ثلاثة أشخاص .

(٣٩٥) المائدة: ٣ . قيل : إن هذه هي آخر ما نزل من القرآن والصواب أنها من آخر ما نزل من القرآن : فقد نزلت في عرفة في حجة الوداع ، ونزل بعدها غيرها .

وظاهر معناها : إكمال جميع الفرائض والأحكام قبلها .

وأما إتمام النعمة فقد كان باستقرار المسلمين في البلد الحرام الذي كان محرماً عليهم ، وبجلاء المشركين عنه مرة واحدة ، وأصبح المسلمون يحججون إلى البيت الحرام وحدهم لا يشاركونهم فيه أحد من المشركين .

(٣٩٦) العنكبوت: ٥١ . (٣٩٧) الجاثية: ١٨ .

(٣٩٨) كانت آيات ومعجزات الأنبياء والرسل السابقين معجزات حية قوية ، وكثيراً ما تكون صارخة حتى آمن بها من آمن ممن شاهدها ، ولكنها ذهبت بذهاب وقتها وموت أنبيائها ولم يبق لها مفعول . أما آية محمد عليه الصلاة والسلام فعقلية معنوية باقية ما بقيت العقول والأفهام ، وهي هذا الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . ولذلك فالرسول يرجو كثرة الأتباع بقدر الاقتناع في كل الأزمنة وجميع البقاع . فالقرآن معجزة رسولنا الكبرى .

(٣٩٩) خ (٤٩٨١) م (١٥٢) وغيرهما .

عقائد الإيمان باليوم الآخر

انتهاء الوجود الدنيوي وحدوث الوجود الآخروي (٤٠٠) :

٧٣- نؤمن بانتهاء وجود هذا العالم الدنيوي ، عند انتهاء أجل وجوده في علم الله : فينحلُّ نظام هذا الكون ، فيخرب الكون العلوي ، كما يخرب الكون السفلي (٤٠١) ، ليكون وجود العالم الآخروي في كون آخر ، ونظام آخر، إذ الذي قدر على خلقه ونظامه ، قادر على إعدامه وإبطال نظامه ، وعلى خلق مثله ونظامه .

لقلوه تعالى : ﴿وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾ (٤٠٢) وَمَا تُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿٤٠٣﴾ .

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ﴾ (٤٠٤) .

(٤٠٠) اليوم الآخر هو يوم القيامة وله أسماء منها : يوم الفصل ، ويوم الدين ، ويوم الحساب ، ويوم الجزاء ...

(٤٠١) الكون العلوي : عالم السموات ، والكون السفلي : عالم الأرضين .

(٤٠٢) مشهود : منظور . (٤٠٣) هود : ١٠٣ .

(٤٠٤) الأعراف : ١٨٧ . الساعة : يوم القيامة . وأيان مرساها : متى وقوعها ؟ وكلمة أيان بمعنى أي حين ، فهي سؤال عن الزمان مثل متى .

﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ * وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَشَرَتْ * وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ *
وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ * عَلِمْتَ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ (٤٠٥) .
﴿فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ * وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ * وَإِذَا الْجِبَالُ
نُسِفَتْ﴾ (٤٠٦) .

﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا * وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا * فَكَانَتْ هَبَاءً
مُنَبَّثًا﴾ (٤٠٧) ، ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ...﴾ (٤٠٨) .
﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى
وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ (٤٠٩) .

المعاد والبعث :

٧٤- نؤمن بأن الله تعالى يحيينا بعد الموت ، ويعيدنا بأرواحنا
وأجسادنا (٤١٠) : من قبورنا ومن حيث كنا ، إلى الموقف الأعظم ، للمحاسبة

(٤٠٥) الانفطار : ١- ٥ . انفطرت : انشقت وتصدعت واختل نظامها . وانتشرت : تساقطت
متفرقة منتشرة . فُجِّرَتْ : فاضت أو فتح بعضها إلى بعض . بُعْثِرَتْ : قلب ترابها وأخرج موتاهما
مبعثرين . وكل ذلك من علامات الساعة . علمت نفس ما قدمت وأخرت : أي من الطاعات
والأعمال الصالحة .

(٤٠٦) المرسلات : ٨- ١٠ . طُمِسَتْ : مُحِيتْ وذهب ضوءها كما يطمس الأثر . فُرِجَتْ :
شُقَّتْ وَصُدَّعَتْ . نُسِفَتْ : قُلِعَتْ وَأُتْلِفَتْ .

(٤٠٧) الواقعة : ٤ - ٦ . رُجَّتِ رَجًا : زُلْزِلَتْ زَلْزَالًا شَدِيدًا . بُسَّتِ بَسًّا : فُتَّتِ تَفْتِيتًا كَالدَّقِيقِ
المبسوس . والهباء المنبث : الغبار المنتشر المتطاير في الفضاء .

(٤٠٨) إبراهيم : ٤٨ . (٤٠٩) يس : ٨١ .

(٤١٠) خلافاً لبعض المتفلسفين الذين لا يعقلون ويحكمون بحبظهم العقلي في كل أمر ولو
كان مُغَيَّباً اختص الله بعلمه ، مع علمهم بأن عقلهم قاصر ومتخبط في حكمه ، تارة يخطئ ،
وتارة يصيب . يقولون : إن البعث للأرواح دون الأجساد!! .

على الأعمال والجزاء عليها ، إذ ذاك جائز في قدرته ، وواجب في عدله وحكمته . لقوله تعالى : ﴿قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ (٤١١) ، ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾ (٤١٢) ، ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ﴾ (٤١٣) . . . ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾ (٤١٤) ، ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ (٤١٥) ، ﴿خُشَعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾ (٤١٦) . . . ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ﴾ (٤١٧) . . . ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٤١٨) . ﴿وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَائِيَةٍ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٤١٩) * هذا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ (٤٢٠) مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٢١﴾ .
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّنْ أَلْعَثَ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ

(٤١١) الجاثية : ٢٦ . (٤١٢) الأنبياء : ١٠٤ .

(٤١٣) القصص : ٨٥ . المعاد : المرجع قيل : مرجعه مكة . وقيل مرجعه الجنة .

(٤١٤) المؤمنون : ١٠٦ . (٤١٥) طه : ٥٥ .

(٤١٦) القمر : ٧ . الأجداث : القبور .

(٤١٧) التغابن : ٩ . يوم الجمع : يوم تجتمع الناس للحساب والجزاء وهو يوم القيامة (يوم التغابن) . قال تعالى : ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾ . والتغابن من الغين وهو النقص ، يقال : غبنه : غبناً إذا أخذ الشيء منه بدون قيمته ، وذلك لأن الكافر يظهر فيه غبنته بتركه الإيمان ، والمؤمن بتقصيره في الإحسان .

(٤١٨) المطففين : ٦ .

(٤١٩) جاثية : مجتمعة من الجثوة وهي الجماعة . أو جاثية بمعنى باركة أي جالسة على الركب وأطراف الأصابع هلعاً وخوفاً . والكتاب : صحيفة الأعمال أو الكتاب المنزل على نبينا .

(٤٢٠) نستنسخ : نستكتب . أي نأمر الملائكة بكتابة ما كنتم تفعلون .

(٤٢١) الجاثية : ٢٨ - ٢٩ .

نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُسِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نَخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ^(٤٢٢) الْعُمُرِ لَكُمْ يُعَلِّمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً^(٤٢٣) فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ * ذَلِكَ بَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ^(٤٢٤).

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا^(٤٢٥) وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ * فَيَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾^(٤٢٦).

(٤٢٢) من تراب: أي أول مرة عند خلق آدم عليه السلام، أو من أصل غذائنا وهو النبات الناشئ من التراب والماء. النطفة: المنى من النطف وهو الصُّلب. علقه: قطعة من اللحم بقدر ما يمضغ. مخلقة: مسواة تامة الخلقة. وغير مخلقة: غير تامة الخلق تقذفها الأرحام جمع رحم وهو مستودع الجنين في بطن المرأة. أشدكم: كمالكم الجسمي والعقلي. وأردل العمر: أخسه وأسوؤه وهو سن التخريف والضعف النهائي لجميع القوى الكامنة في الإنسان، بحيث يعود إلى مثل الطفولة التي لا تعي ولا تدرك كثيراً، لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً فسبحان المدبر والمقدر ومن يقول للشيء كن فيكون.

(٤٢٣) هامدة: ميتة خاشعة جامدة، اهتزت: تحركت بالنبات. ربت: انتفخت وعلت، الزوج: الصنف والنوع من النبات. بهيج: حسن رائق يبهج الناظرين.

(٤٢٤) الحج: ٥ - ٧.

(٤٢٥) عبثاً: سدى وباطلاً تتمتعون تمتع الأنعام ولا تكليف ولا حساب.

(٤٢٦) المؤمنون: ١١٥ - ١١٦.

وزن الأعمال والجزاء عليها :

٧٥- نؤمن بأن الله تعالى ينصب الميزان (٤٢٧) يوم القيامة ، فتوزن أعمال العباد ليُجازوا عليها ، ويُقتَص من بعضهم البعض ، فمن رجحت حسناته نجا ، ومن رجحت سيئاته عُدب ، إذ ذاك واجب في عدل الله .

لقوله تعالى : ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ (٤٢٨) .
﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ (٤٢٩) .

﴿ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ * وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ * فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴾ (٤٣٠) .

﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ * وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ (٤٣١) .

(٤٢٧) الميزان: مخلوق من مخلوقات الله تعالى لا نعرف شكله ولا كيفيته، فهو مما نؤمن به بلا كيف. ووهم من يفسره بكفتين ولسان، لأن ذلك من البدائية في التفكير والتشبيه .

(٤٢٨) الأنبياء: ٤٧. الموازين القسط: العادلة يحتمل الجمع والإفراد. ومثقال حبة من خردل: أي مقدارها من الخير أو الشر. وهو مثل يضرب للقلة والتفاهة. وبرغم ذلك فالإنسان يُجازى عليه، وهذا منتهى العدل والإنصاف. من يعمل مثقال ذرة من خير أو من شر يُجازى عليه، وهكذا تُجزى كل نفس بما كسبت.

(٤٣٠) القارعة: ٦ - ٩. أمه هاوية: مأواه جهنم يأوي إليها راغماً كما يأوي لفضل إلى أمه. ومسكنه جهنم يتردى فيها. وراضية: مرضية أي بحيث يرضى بها صاحبها، فوصفت بالراضى والراضى صاحبها .

(٤٣١) الجاثية: ٢١ - ٢٢. اجترحوا: اكتسبوا بجوارحهم .

ولحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ ؟ قَالُوا : الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ . فَقَالَ : « إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي ، يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ ، وَيَأْتِي وَقَدْ شَتَّمَ هَذَا ، وَقَذَفَ هَذَا (٤٣٢) ، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا ، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا ، وَضَرَبَ هَذَا ، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ ، أَخَذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطَرَحَتْ عَلَيْهِ ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ » رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٤٣٣) .

الصراط :

٧٦- ونؤمن بأن الله يضرب الصراط (٤٣٤) على ظهر جهنم ، فيمر عليه الناس أجمعون ، فينتهي أهل الجنة إلى الجنة ، ويسقط منه في النار أهل النار .
لقوله تعالى : ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا * ثُمَّ نُنْجِي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ (٤٣٥) .

(٤٣٢) القذف: رمي العرض بالاتهامات والريب وهو من الكبائر وذلك من الموبقات التي يقع فيها كثير من السفهاء وضعاف العقول والإيمان، ﴿وَتَحْسِبُونَهُ هِينًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ فواجب المؤمن أن يتحرز عن ذلك، وأصله الرمي بالحجارة ونحوها، ثم استعمل مجازاً في الرمي بالمكاره. سَفَكَ الدَّمُ أَوْ سَفَحَهُ: صَبَهُ وَأَرَاقَهُ .

(٤٣٣) برقم (٢٥٨١) .

(٤٣٤) يضرب الصراط: يضعه وينصبه .

(٤٣٥) مريم : ٧١ - ٧٢ . جِثِيًّا: جاثين أي جلوساً قاعدين على الرُكْب جمع جاث أي بارك على ركبتيه .

دار العذاب :

٧٧- ونؤمن بأن الله خلق النار دار عذاب وخلود لمن كفر ، ودار عذاب إلى أجل لمن رجحت سيئاتهم على حسناتهم فاستحقوا العذاب . وأن العذاب فيها للأرواح والأجساد .

لقوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴾ (٤٣٦) *
خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ ﴿٤٣٧﴾ .

ولحديث أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ شَعِيرَةً ، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ بُرَّةً ، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ ذَرَّةً» (٤٣٨) رواه مسلم (٤٣٩) .

(٤٣٦) الزفير: إخراج النفس، والشهيق رده. فالزفير من الصدر، والشهيق من الحلق.

قال ابن عباس في الزفير والشهيق: صوت شديد وصوت ضعيف.

وقال الثعالبي في فقه اللغة (فصل ترتيب الأصوات) : فإذا أزر به - أي الصوت - وقبح الأنين فهو الزفير ، فإذا مد النفس ثم رمى به فهو الشهيق.

(٤٣٧) هود : ١٠٦ - ١٠٧ .

(٤٣٨) شعيرة: حبة شعير، برة: حبة بُر وهو القمح، ذرة: واحدة الذر وهو الهباء الدقيق المنتشر في الفضاء ولحفته وتناهيه في الصغر، تُضرب به الأمثال في الدقة والتفاهة، ومع ذلك فهو معتبر في الحساب والعقاب والثواب، إذ ذلك مقتضى العدل الإلهي .

(٤٣٩) برقم (١٩٣) .

وقوله تعالى : ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ (٤٤٠) .

دار النعيم :

٧٨- نؤمن بأن الله خلق الجنة دار نعيم وخلود للمؤمنين ، وأنها محرمة على الكافرين .

وأن النعيم فيها للأرواح والأجساد .

وأن أعظم نعيمها هو رضوان (٤٤١) الله .

لقوله تعالى : ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْذُودٍ﴾ (٤٤٢) .

ولقوله تعالى : ﴿قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا﴾ (٤٤٣) على الكافرين ﴿﴾ (٤٤٤) .

ولقوله تعالى : ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٤٤٥) .

(٤٤٠) النساء : ٥٦ . أي كلما احترقت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها حية ليستمر ألمهم وعذابهم، وخص الجلود لأنها أماكن الحساسية والاستشعار وشدة الألم.

(٤٤١) الرضوان: مصدر رضي يرضى رضي ومرضاة: ضد السخط ومعناه رضوان الله، ورضاء الله أكبر من الجنة ونعيمها. [وأحب من ذلك رؤية المؤمنين ربهم في الجنة في يوم المزيد كما هو ثابت في صحيح مسلم من حديث صهيب رضي الله عنه . «.. فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل» مسلم (١٨١) وغيره. الناشر]

(٤٤٢) هود : ١٠٨ . غير مجذود: دائم غير منقطع . يقال: جددت الشيء وجددته أي قطعته، فنعيمهم باق مستمر لا ينتهي في الجنة .

(٤٤٣) أي الماء والرزق المذكوران في أول الآية: ﴿ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله﴾ .

(٤٤٤) الأعراف : ٥٠ . (٤٤٥) الطور : ١٩ .

ولقوله تعالى : ﴿ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾^(٤٤٦) اهـ .
﴿ سبحان ربك رب العزة عما يصفون * وسلام على المرسلين * والحمد
للَّهِ رب العالمين ﴾^(٤٤٧) .
وصلَّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم
الدين .

* * *

(٤٤٦) التوبة : ٧٢ . أي أعظم من كل نعيم آخر، فلا فضل ولا نعيم ولا سعادة أتم
وأعظم من مرضاة الله على الإنسان . اللهم ارض عنا ولا تجعلنا من المغضوب عليهم ولا
الضالين آمين يا رب العالمين .
(٤٤٧) الصافات : ١٨٠ - ١٨٢ .

الفهرس

٥	مقدمة الطبعة الأولى
٨	مقدمة الطبعة الثانية
١٣	مقدمة الطبعة الثالثة
١٥	تقديم بقلم العلامة الإبراهيمي
٢٢	افتتاح
٢٣	قواعد الإسلام الخمس
٣٦	بيان معنى الإسلام
٤١	بيان معنى الإيمان
٤٥	تحصيل مما تقدم
٥٥	بيان معنى الإحسان
٥٧	عقائد الإيمان
٧٥	الإيمان بالقدر
٨١	الإيمان بالملائكة
٨٤	الإيمان بكتب الله
٨٨	الإيمان بالرسول
٩٦	ختم الرسالة وعمومها
٩٨	الإيمان باليوم الآخر

هذا الكتاب

- يعرض العقيدة الصحيحة بأسلوب سلس وبعبارة بسيطة سهلة.
- يتناول مسائل العقيدة بجلال وسهولة كما تناولها صحابة رسول الله ﷺ والتابعين والأئمة من بعدهم .
- يفيد في تعليم الناشئة العقيدة فهو يعرض المسألة ثم يبين الدليل عليها بعيداً عن تعقيدات المتكلمة والمفلسفة .
- يرد على من يدعي صعوبة تناول العقيدة والدعوة إليها بلسان الحال والمقال.
- كتبه مربٍ ومجاهد معروف، له في نفوس من يعرفونه المكانة والاعتزاز.



للطباعة والنشر والتوزيع

طابق النخبة : ٢٢٢٥٢٤ ، هاتف نشر : ٢٢٢٩٠٦٨ ، صحن الطقة : ٢٢٢٥٣٠٨ ،

لاكن : ٢٢٢٥٢٩ / ١ ، ٢٢٢٥٣٨ ، ص ب : ٢٢٤٦٤ ، التجارة : إ.ع م